روايات مصرية

إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم 19

86

عيون الرعب

www.riwaya.ga

شريف شوقي

الفصل الأول

غادر الدكتور (فهمى) منزله فى طريقه للذهاب إلى مقر عمله فى مركز البحوث العلمية .

وقد تأهب لركوب سيارته حينما سمع صوتًا يناديه من خلف الأشجار المحيطة بالمنزل قائلًا :

ـ دكتور (فهمى) .

كانت الساعة تقارب الثامنة مساءً والسكون يغلف المكان حينما تنبه لذلك الصوت الذى يناديه .. وقد اقترب صاحبه منه تدريجيًا لتتضح معالمه .

كان الرجل طويل القامة .. عريض المنكبين .. أصلع الرأس يرتدى بذلة سوداء وقميص رمادى ورباط عنق بلون البذلة ، لكن ما لفت انتباه دكتور (فهمى) حقًا هى تلك النظارة السوداء القاتمة التى يضعها الرجل فوق عينيه رغم أن الوقت كان ليلا ، والمكان يبدو خافت الضوء .

www.riwaya.ga

تأمله قائلًا :

ـ هل تعرفنى ؟

أومأ الرجل برأسه قائلًا :

ـ بلا شك .

ـ أى خدمة ؟

ـ لك معى رسالة وأريدك أن تستلمها .

قال له بدهشة :

www.riwaya.ga

ـ رسالة .

ـ أجل .. الدكتور (يسرى) يرسل إليك بتحياته .

قال ذلك وهو ينزع النظارة السوداء عن عينيه محدقًا فيه وقد أزعجه ذلك البريق الوحشى الذى رآه فى عينى الرجل ، والذى سرعان ما تحول إلى اللون الأصفر لينبعث من حدقتيه ما يشبه شعاع الليزر .

وقبل أن يتبين الدكتور (فهمى) حقيقة هذا المشهد المرعب كان الشعاع قد اخترق جبهته مخلفًا فيها ثقبين سقط على أثرهما بجوار سيارته وقد لقى مصرعه على الفور .

راقبه الرجل وجسده ينتفض بشدة كما لو كان قد أصيب بصدمة كهربائية قبل أن يستعيد حالته الطبيعية وتهدأ ارتعاشته .

ليعود لوضع نظارته السوداء فوق عينيه .. ويستدير عائدًا من حيث أتى .

***

وفى مكان آخر بالساحل الشمالى كان الدكتور (سامح) يقضى إجازته الصيفية مع أسرته فى الشاليه الذى يمتلكه والمطل على البحر مباشرة .

حيث أخذ أبناؤه يلعبون فوق رمال الشاطئ ويتقاذفون الكرة فى حين جلست زوجته تحت المظلة تتابعهم بنظراتها وهى تتحدث مع صديقتها عبر هاتفها المحمول .

بينما ابتسم الدكتور (سامح) وهـو يراقبهم من شرفة الشاليه قبل أن تنهى زوجته اتصالها لتلوح له بيدها فى إشارة منها تدعوه فيها للحاق بهم .

فاتصل بها بدوره عبر هاتفه قائلًا :

www.riwaya.ga

ـ بضع دقائق فقط يا حبيبتى .. أبدل ثيابى وألحق بكم .

واتجه إلى المطبخ ليعد لنفسه كوبًا من الشاى قائلًا لنفسه :

ـ الشاى أولا ثم الذهاب إلى البحر .

وصب لنفسه قدحًا من الشاى ثم استدار عائدًا إلى الداخل . لكنه تراجع إلى الوراء منزعجًا حينما فوجئ بشخص يرتدى قميصًا أسود وبنطلونًا أبيض ويضع فوق عينيه عدسات سوداء واقفًا أمام باب المطبخ وهو يرقبه فى هدوء .

حدق فيه قائلًا :

ـ من أنت ؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟

قال الرجل بصوت أجش :

ـ أحمل لك رسالة معى من صديق قديم .

ـ أية رسالة ؟ وكيف تجرؤ على اقتحام منزلى هكذا دون استئذان ؟

نزع الرجل النظارة السوداء عن عينيه محدقًا فى وجهه بنظرة باردة .. وفجأة تغير لون مقليته فجأة لتكتسى باللون الأصفر المشع وسرعان ما انبعث منها ذلك الشعاع ليصيب جبهة الرجل مخلفًا بعض الدخان .

ليهوى على الأرض صريعًا فى الحال .

بينما ظل الرجل ينتفض للحظات كما حدث لزميله قبل أن يستعيد حالته الطبيعية ويضع النظارة فوق عينيه مغادرًا المكان فى هدوء .

***

كان مهرجانًا صاخبًا ذلك الذى يقام فى البرازيل فى هذا الوقت من كل عام

وقد ازدانت الشوارع المزدحمة بكل مظاهر المرح واللهو والأقنعة على وجوه فى مظهر احتفالى يخطف الأبصار .

وفى ظل ذلك الكرنفال الذى يعم الشوارع فى مدينة (ريودى جانيرو) كان أحدهم يتأبط ذراع شخص برفقته وهو يبدو كما لو كان يدفعه أمامه عنوة .

بينما كانت يده الأخرى تختفى داخل جيب سترته وقد بدا الجيب منتفخًا على نحو يوحى بأن صاحبه يخفى مسدسًا صوب فوهته إلى زميله ليجبره على السير معه مرغمًا .

www.riwaya.ga

وعلى مسافة غير بعيدة عنهما كان ذلك الشخص الذى يحمل كاميرا حديثه فى يده منشغلا بتصوير مظاهر الاحتفال وهو يتنقل من مكان لآخر .

حينما انتقل بعدسة كاميرته نحو هذين الشخصين اللذين اخترقا الصفوف المزدحمة ليتجها إلى شارع جانبى أقل ازدحامًا ويكاد يخلو من المارة .

فصوب صاحب الكاميرا عدسة كاميرته المقربة فى اتجاههما .. وسرعان ما انطلق منها سهم رفيع لا يزيد طوله على ٥ سنتيمترات وقطره على سنتيمتر واحد ليستقر فى عنق صاحب السلاح الذى هوى على الأرض فجأة غائبًا عن الوعى .

بينما نظر إليه رفيقه وقد أدهشه ما حدث له .. وازدادت دهشته وهو يتطلع إلى صاحب الكاميرا وقد اقترب منه قائلًا :

– (ممدوح) .

قال (ممدوح) مبتسمًا :

– هل ترغب فى صورة للذكرى ؟

10

لكن دهشته تحولت إلى فزع وهو ينظر خلفه قائلا :

ـ (ممدوح) .. احترس .

استدار (ممدوح) على الفور جاثيًا على ركبتيه ليرى أحدهم وهو يصوب إليه سلاحه تأهبًا لإطلاق الرصاص عليه .

لكنه بادر بالتقاط المسدس الذى سقط من يد الشخص المخدر وهو راقد على الأرض ليطلق منه رصاصة أصابت ساق غريمه فسقط أرضًا وهو يصرخ متألمًا وقد طاشت رصاصته فى الهواء .

بينما بادر (ممدوح) بالوقوف على قدميه مسددًا ركلة قوية لسلاح غريمه أطاحت به بعيدًا وهو يصوب إليه مسدسه .

نظر إليه الرجل برعب قائلًا :

ـ لا .. أرجوك لا تقتلنى .

ظل (ممدوح) محدقًا به لثوان قليلة قبل أن يدير المسدس ليهوى على رأسه بمقبضه قائلا :

ـ سأدعك فقط تحصل على غفوة قصيرة لاحقًا بزميلك .

والتفت إلى صديقه قائلًا :

ـ دعنا نؤجل الصورة لما بعد .. فهناك سيارة تنطلق لمطاردتنا الآن وعلينا أن نبادر بالهرب .

www.riwaya.ga

وجذبه معه راكضًا إلى دراجة بخارية تبتعد عنهما عدة أمتار بجوار الرصيف المقابل .

ليثب فوقها داعيًا صديقه للقفز خلفه سريعًا .

وفى تلك اللحظة كانت السيارة المطاردة تحاول اللحاق بهما وقد اقتربت منهما تدريجيًا .

بينما أطلق (ممدوح) العنان لدراجته منطلقًا بها بأقصى سرعة لينعطف بها إلى طريق جانبى .

وقد استمرت السيارة التى كانت تقل أربعة أشخاص فى ملاحقتهما .

وسرعان ما اجتاز (ممدوح) الطريق الجانبى ليصل إلى الطريق العام وما زالت السيارة تطاردهما .

وما لثبت أن اقترب من الدراجة تدريجيًا وقد أصبح يفصل بينها وبين راكبيها حوالى عشرة أمتار تقريبًا .

حيث أطل أحدهم من نافذتها ليطلق عدة طلقات من سلاحه فى اتجاههما وهو يحاول القضاء عليهما .

ليزيد (ممدوح) من سرعة دراجته بطريقة جنونية وهو منحرف بها يمينًا وشمالًا وهو يحاول تجنب الرصاصات المصوبة إليهما والتى تطاير بعضها فوق رأسيهما .

بينما قال له صديقه قلقًا :

لا مناص من أن نلقى حتفنا إما بواسطة طلقاتهم التى كادت أحدها أن تصيب عنقى أو بطريقتك الجنونية فى قيادة الدراجة .

واصل (ممدوح) طريقه قائلًا :

– يبدو أن لديهم ذخيرة وافرة ، وهدفًا سهلًا أيضًا .. فلن تطيش رصاصتهم طويلًا .

واستطرد وهو يضغط على زر فى مقدمة الدراجة :

ـ حسنًا دعنا نصعب الأمر عليهم .

وعلى الفور انفتح غطاء علبة معدنية متوسطة الحجم فى مؤخرة الدراجة ليتطاير منها عشرات البالونات الملونة .

وقد حملها الهواء لتحلق أمام السيارة لتنفجر على التوالى منبعثًا منها دخان ملون بلون كل بالونة .

وسرعان ما ازداد الدخان الملون كثافة ليحجب الرؤية أمام راكبى السيارة .

حيث حاول قائدها الابتعاد عن الدخان الكثيف الذى أحاط بالسيارة بالانحراف جانبًا .

لكن ما إن انقشع الدخان قليلًا حتى بوغت برؤية شاحنة كبيرة قادمة من الطريق المعاكس .

فحاول تفاديها لكنه ازداد انحرافًا بسيارته التى انزلقت إلى طريق جانبى منحدر لتهوى إلى أسفل .

نظر رفيق (ممدوح) إلى ما حدث بدهشة بالغة قائلًا :

ـ كيف فعلت ذلك ؟

قال (ممدوح) مبتسمًا :

ـ إنها إحدى ابتكارات المساعدات الفنية برئاسة الدكتور (سعيد) .

ابتسم صديقه بدوره قائلًا :

ـ كنت أحب البالونات فى صغرى لكنى لم أظن أننى سأحبها على هذا النحو بعد أن كبرت .. بالونات دخانية متفجرة يا له من ابتكار .

داعبه (ممدوح) قائلًا :

ـ إنه مهرجان برازيلى موسمى .. كان علينا مشاركتهم بشىء ما .

وبعد عدة ساعات كانت الطائرة تحلق بـ (ممدوح) ورفيقه من مطار ريودى جانيرو) فى طريقها إلى القاهرة .

حيث التفت إلى زميله قائلًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (عمرو) .

نظر إليه بامتنان قائلًا :

ـ لولا تدخلك لكنت هالكًا لا محالة .

قال له مازحًا :

ـ لم أكن لأتركهم يقتلونك وأنت مدين لى بدعوة على العشاء لم تنفذها بعد .

ضحك (عمرو) قائلًا :

ـ لم أنسَ ذلك سأدعوك إلى أكبر وأرقى محل للمشويات بعد عودتنا إلى القاهرة .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ عليك أن تترك لى الاختيار .. أنا أفضل الأسماك .

قال له ضاحكًا :

ـ كما ترغب يا صديقى .

***

14

عاد إلى مكتبه فى إدارة العمليات الخاصة ليجد زميله (سامى) واقفًا بجوار باب حجرته ليصافحه قائلًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (ممدوح) .

ـ أهلًا (سامى) .. ما أخبار الزملاء ؟

ـ كلهم يشيدون بعمليتك الأخيرة فى البرازيل ومساعدتك القيمة لـ (عمرو) .

غمغم (ممدوح) قائلا :

ـ ها نحن قد عدنا للأعمال الإدارية الرتيبة وخمول المكاتب .

ابتسم زميله قائلًا :

ـ لا أظن أن ذلك سيدوم طويلا .. فقد سأل عليك اللواء (مراد) عدة مرات وطلب أن تذهب إلى مكتبه بمجرد حضورك .

قال (ممدوح) مازحًا :

ـ يبدو أن هناك مهمة جديدة فى انتظارى .. أتمنى أن يكون الرئيس فى حالة مزاجية جيدة .

وما لبث أن توجه إلى غرفة السكرتارية التابعة لمكتب اللواء (مراد) ليجد سكرتيرته الحسناء (ميرنا) جالسة تتابع بعض الموضوعات على اللاب أمامها فحياها قائلًا :

ـ لابد أنك افتقدتنى كثيرًا يا فتاتى الحسناء .

قالت له مداعبة :

ـ بالفعل .. فأنا أنتظر كيس البن البرازيلى الذى وعدتنى به بفارغ الشوق .

قال لها بطريقة مسرحية ضاحكة :

ـ البن .. سحقًا ! إنها كانت تنتظر البن ولا شىء سواه .. أهذا هو كل ما عنيك من عودتى .. يا لخيبة الأمل ؟

غادرت مكتبها ضاحكة لتفتح أدراج الشانون المعدنى الكبير بحثًا عن بعض لملفات .

حيث تحرك ليقف بجوار الأدراج المفتوحة والتى أخفتها عن عينيه ستطردًا :

ـ كنت أتطلع لاستقبال أكثر حرارة بعد أن غبت عنك شهرًا كاملًا .

قالت له مازحة :

ـ هل كنت تنتظر أن أستقبلك بالأحضان مثلًا ؟

قال سريعًا :

ـ ليتك تفعلين .

ـ دعك من هذا المزاح .. ادخل سريعًا فاللواء (مراد) يتعجل حضورك.

لكنه واصل مزاحه وطريقته المسرحية وهو يضع إحدى يديه على صدره بينما يده الأخرى مرفوعة عالية وهو يقول :

ـ اللواء (مراد) يمكنه أن ينتظر أما قلبى فلا يطيق الانتظار .

لم يتلق منها ردًا فقام بإغلاق الأدراج المفتوحة ليراها .. لكنه فوجئ بـ اللواء (مراد) واقفًا مكانها وهو ينظر إليه شذرًا ، فارتبك قائلًا :

ـ سيادة اللواء .. آسف يا فندم .. لقد كنت فى طريقى إلى مكتبك .. و...

قاطعه بخشونة قائلًا :

16

ـ الحق بى فى حجرتى .

ـ حا ... حاضر يا فندم .

والتفت خلفه ليرى (ميرنا) وهى تنظر إليه وهى تضع يدها فوق فمها لتمنع الضحكات من أن تفلت من بين شفتيها ، بينما أشـار لها متوعدًا وهو يفتح باب الحجرة .

***

الفصل الثانى

تطلع اللواء (مراد) إلى (ممدوح) جالسًا خلف مكتبه وقد بدا عابس الوجه وهو يقول :

ـ أعرف أنك قمت بعمل جيد فى مهمتك الأخيرة .. لكن هذا لا يعنى أن تتكاسل وتركن إلى الراحة التامة بعد عودتك .. لِمَ أغلقت هاتفك طوال اليومين الماضيين واختفيت عن الأنظار ؟

ـ يا فندم .. لقد كنت فى إجازة ورغبت فى أن أحظى بها كاملة دون إزعاج هذه المرة .

ـ دون إزعاج .. هل نسيت فى أى جهة تعمل ؟ لا أظنك تجهل أن الإجازة هنا لا تعنى اختفاءك بطريقة مفاجئة وأن لا نجدك وقتما نريدك ونحتاج إليك .. أم أنك نسيت التعليمات ؟

ـ آسف يا فندم .

تراجع عن عبوسه قليلًا وهو يدعوه إلى الجلوس قائلًا :

ـ اجلس .

جلس (ممدوح) على المقعد المواجه لمكتب رئيسه كطالب ينتظر المزيد من التأنيب .

بينما ارتكز اللواء (مراد) بمرفقيه فوق مكتبه قائلًا :

ـ أظن أنك استعدت نشاطك بعد إجازتك القصيرة .

ـ أجل .

تناول أحد الأقلام من المقلمة أمامه ليقلبه بين أصابعه قائلًا :

18

ـ إذن هل أنت مستعد لعملية جديدة ؟

ـ تحت أمرك دائمًا يا فندم .

قال اللواء (مراد) وهو يطرق بالقلم فوق مكتبه :

ـ هناك مهمة تبدو شديدة الصعوبة والخطورة نوعًا ما .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ إنه نوع العمليات التى يختص بها المكتب (١٩) .

نهض اللواء (مراد) ليدور حول مكتبه قائلًا :

ـ المشكلة أن تلك العملية تبدو غامضة وخيالية إلى حد كبير .

نهض (ممدوح) بدوره قائلًا :

ـ ماذا تقصد بخيالية ؟

ـ اثنان من أكبر علمائنا فى مركز البحوث لقيا مصرعهما بطريقة غامضة ومروعة .

والغموض هنا يتركز فى الوسيلة التى اغتيلا بها .

ثقبان فى الجبهة ومادة حارقة اخترقت رأسيهما لتدمر خلايا المخ دون أى أثر آخر .. لا جروح ولا كدمات .. ولا دماء .. فقط ثقبان فى جبهة كل منهما وتفحم كامل داخل رأسيهما .

ـ هل تم اغتيالهما بهذه الطريقة فى عملية واحدة ؟

ـ أحدهما قتل داخل مركز البحوث والآخر تم قتله فى الشاليه الذى يقضى به إجازته الصيفية فى الساحل الشمالى بعدها بيومين فقط .

ـ وهل هناك شهود على مقتل الرجلين ؟

سمع (ممدوح) صوتًا يأتى من الخلف قائلا :

ـ لم يرَ أحد القاتل مطلقًا .

كان العميد (يحيى) قد دخل إلى الغرفة من الباب الخلفى ليشارك فى الحديث وقد اقترب منهما مستطردًا :

ـ تحدث أحدهم فى المركز عن شخص طويل القامة أصلع الرأس يضع نظارة سوداء على عينيه طلب مقابلة الدكتور (فهمى) مقابلة شخصية ، وقبل أن يسمح له بذلك غافل الجميع ودخل إلى حجرته مباشرة .. ثم غادرها بعد خمس دقائق فقط دون أن يتحدث إلى أحد ، وبعدها اكتشفوا جثة الدكتور (فهمى) بجوار مكتبه على النحو الذى أوضحه لك سيادة اللواء .

والثانى انتظرت زوجته مجيئه إلى الشاطئ .. فلما تأخر عنها عادت إلى الشاليه لتراه مقتولًا داخل المطبخ وجثته ممددة على الأرض بنفس الطريقة دون أن ترى القاتل أو تلمحه .

(ممدوح) :

ـ يمكن أن يكون القاتل هو نفس الشخص ؟

اللواء (مراد) :

ـ احتمال .. لكن من المؤكد أن هناك من يستهدف علماء وباحثى المركز بوجه خاص ليتم قتلهم على هذا النحو .

قدم العميد (يحيى) عدة صور من الحجم الكبير لـ (ممدوح) قائلًا :

ـ هذه الصور توضح لك الطريقة التى اغتيل بها كلاهما .

تأمل (ممدوح) الصور بعناية وقد استرعى انتباهه تلك الثقوب السوداء فى جبهتى المجنى عليهما قائلًا :

ـ طريقة غامضة ومخيفة للقتل .

والتفت إلى اللواء (مراد) مستطردًا :

ـ لكن أعتقد أن هذا الأمر يعد من اختصاص المباحث الجنائية وليس المكتب (١٩) .

عاد اللواء (مراد) إلى مكتبه قائلًا :

ـ عندما نجد أن الشخصين اللذين قتـلا هما من العلماء المصريين المتميزين فى مجال العلوم الحيوية البيولوجية .. ثم نكتشف أنه كانت هناك محاولة ثالثة لاغتيال عالم آخر من علماء المركز فالأمر فى هذه الحالة يتجاوز اختصاص المباحث الجنائية ويصبح متعلقًا بأمننا القومى .

ـ هل تقصد أنه كانت هناك محاولة أخرى لاغتيال عالم آخر من علمائنا .

ـ أجل لكننا تمكنا من إنقاذه فى اللحظة الأخيرة وأيضًا وضعنا أيدينا على الجانى قبل أن يتمكن من الهرب .

ـ عظيم .. هذا يعنى ...

قاطعه اللواء (مراد) قائلًا :

ـ انتظر .. عليك أن تشاهد هذا الفيديو أولًا .

وأدار الجهاز أمامه ليظهر على الشاشة الدكتور (رائف) رئيس مركز البحوث العلمية وهو يتحدث قائلًا :

ـ منذ خمس سنوات كنا نشارك فى مشروع لعلاج سرطان المخ مصادر إشعاعية متنوعة لتفتيت الأورام فى الأماكن الدقيقة المحيطة بخلاياه الداخلية وعن طريق ما يسمى « بالضغط الإشعاعى المتنوع » .

وبدون الدخول فى تفاصيل فنية وعلمية تحتاج إلى كثير من الشرح بدا أننا قد حققنا نتائج مبدئية مبشرة يمكن أن تمنحنا آمالاً عريضة فى المستقبل . لكنها كانت مجرد مرحلة أولية لتجارب العلاج .

وبعد عدة تجارب متوالية تبين أن الأمر سيحتاج إلى سنوات طويلة قبل أن يتحقق النجاح الذى ننشده وتقرير اعتماده .

وكان العلماء المشاركون فى هذا البحث العلمى ستة من بين المتخصصين فى جراحة الأورام والعلاج الإشعاعى المتقدم حيث كنت أشرف بنفسى على تلك المجموعة المتخصصة والتى كانت تضم كلاً من : الدكتور (فهمى) والدكتور (سامح) والدكتور (عاصم) والدكتور (نديم) والدكتور (مجدى) .

وقد أجمعت اللجنة التى تضم العلماء الستة على تأجيل إجراء المزيد من التجارب على العلاج المقترح لحين مراجعة العديد من البحوث والنتائج فى هذا الشأن نظرًا للمخاطر العديدة المترتبة على إجرائها .. عدا واحد فقط أصر على الاستمرار فى إجراء المزيد من التجارب المتطورة دون انتظار وهو الدكتور (نديم عسران) .

كان من أشد المتحمسين للمشروع وأكثر تحمسًا للحصول على نتائج سريعة ولما وجد منا رفضًا وإصرارًا على التأجيل .. قال إنه سيواصل بحثه وتجاربه بالرغم من رفضنا فأخبرته أننى لن أوافق على مواصلة تقديم الدعم

المادى المقرر لتلك التجارب ولن أسمح باستخدام المعامل والإمكانيات الفنية للمركز فى هذا الشأن .

وعليه فى هذه الحالة أن يبحث لنفسه عن مصادر تمويل أخرى ومكان آخر يواصل فيه بحوثه وتجاربه بمفرده .. فانصرف غاضبًا .

وبعدها بعدة أيام قدم استقالته من المركز قائلًا :

ـ إننا سنندم لأننا لم ننصع لما طلبه وعدم الاستفادة من خبرته العلمية وأفكاره المتقدمة فى هذا الشأن .

وقد اتهمه الدكتور (سامح) وقتها بجنون العظمة .

كما قال له الدكتور (فهمى) : إن هناك حدًّا لطموحاته العلمية .. وأنه إذا ما تجاوز هذا الحد ليصل فى تجاربه إلى ما يمثل خطرًا حقيقيًا فإنه .. سيضطر لإبلاغ الشرطة أيًا كان المكان الذى سيعمل فيه .. خاصة أنه يعمل فى مجال له محاذيره وخطورته وهو المجال الإشعاعى .

ووافقنا بعدها بالإجماع على الاستقالة وإبعاده عن المركز .

ثم انقطعت صلته وأخباره عنا بعدها تمامًا .

أغلق اللواء (مراد) الجهاز بعد انتهاء الفيديو وهو ينظر إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ ما رأيك فيما سمعته ؟

ـ هناك شك فى وجود علاقة ما بين ما حدث لاثنين من المجموعة التى شاركت فى هذا البحث العلمى والدكتور (نديم) .

ـ بالضبط خاصة أن العالم الثالث الذى كاد أن يلقى مصرعه بنفس الطريقة لولا أننا أنقذناه فى اللحظة الأخيرة كان هو الدكتور (رائف) الذى رأيته وسمعته يتكلم الآن وذلك بعد فرض رقابة سرية مشددة على المركز .

ـ لكن هذا لا يعنى أن لدينا دليلًا قاطعًا على ضلوع الدكتور (نديم) فيما حدث .

ـ بالطبع .. لكنه يثير شكوكًا كثيرة حوله .. خاصة إذا ما تبين لنا أن مصرع العالمين د. (فهمى) و د. (سامح) كان بواسطة مادة إشعاعية اخترقت جمجمتيهما وأدت إلى تفحمهما على هذا النحو وهذا شىء يدخل فى مجال اختصاص د. (نديم) ثم إنهما كانا الأكثر اعتراضًا على استمراره فى مواصلة تجاربه .

ـ هل تم التحقيق مع الشخص الذى قبض عليه فى هذا الشأن ؟

تدخل العميد (يحيى) فى الحديث قائلًا :

ـ مع الآسف لم نتمكن من الحصول على معلومات وافية من الرجل لأنه لقى حتفه بدوره .

نظر إليه (ممدوح) وقد قطب جبينه قائلًا :

ـ ماذا ؟ هل مات بدوره ؟

العميد (يحيى) :

ـ وبطريقة تثير الدهشة والتعجب .

ـ كيف ؟

أدار اللواء (مراد) الجهاز أمامه مرة أخرى قائلًا :

ـ هذا الفيديو يجيب عن سؤالك .. أنه يبين لحظة القبض على الشخص الذى كان يتأهب لقتل الدكتور (رائف) قبل أن ينجح فى محاولته .. ثم ما حدث له أثناء التحقيق معه .

ورأى (ممدوح) ذلك الشخص صاحب النظارة السوداء وهو يستوقف الدكتور (رائف) فى المرأب الملحق بالمركز قبل أن يستقل سيارته وهو يناديه قائلًا :

ـ دكتور (رائف) .

التفت إليه قائلًا :

ـ نعم .

ـ لدىَّ رسالة لك من صديق .

ـ أى نوع من الرسائل ؟

ـ ستعرف حالًا .

ونزع النظارة عن عينيه وقد هال الدكتور (رائف) ما رآه فى نظراته .

وقبل أن ينطلق ذلك الشعاع من عينيه ليصيبه انتحى جانبًا ليصطدم الشعاع بالجزء المعدنى العلوى من السيارة فيجعله ينصهر فى الحال .

واندفع د. (رائف) مهرولًا محاولًا الابتعاد عن المكان لكن غريمه لاحقه وجسده ينتفض بشدة .

وقبل أن يكرر المحاولة ويتمكن من قتله كان الأشخاص المكلفون بحماية

لدكتور (رائف) قد انقضوا عليه وشلوا حركته .

وفى مكتب التحقيقات بذل الأشخاص الذين يحققون مع ذلك الرجل الغامض جهدًا شاقًا محاولين الوصول لبعض الأجوبة على أسئلتهم دون أن يتمكنوا من الوصول إلى شىء محدد فقد بدا الرجل كتمثال أصم وهو جالس أمامهم دون حركة ، وفجأة عاد جسده لينتفض تلك الانتفاضة المصحوبة برعشة عنيفة وبطريقة غير عادية .

ثم أخذ يهذى بكلمات غريبة قبل أن يعاود ذلك الإشعاع الانبعاث من عينيه وقد كاد يصيب الشخص الجالس أمامه لولا مسارعته بالتنحى جانبًا ليرتطم ذلك الشعاع بالجدار خلفه فيخترقه فى صورة ثقب متفحم .

ورأى (ممدوح) الرجل وهو يشير إلى النظارة السوداء فى يد المحقق الواقف على مقربة منه ليعطيها له .

فأشار المحقق لزميله ليعيدها إليه .

حيث سارع بوضعها فوق عينيه ليتوقف على الأثر انبعاث ذلك الشعاع منهما .

وما لبث أن هدأت ارتعاشته تدريجيًا .

وقد وقف المحققون الثلاثة المحيطون به يتطلعون إليه بحيرة واستغراب .

بينما غمغم الرجل قائلًا :

- سيموت الكثيرون .. سنرسلهم إلى الجحيم .

وسرعان ما تدلى رأسه فوق صدره ليروح فى غيبوبة طويلة .

أغلق اللواء (مراد) الجهاز لينظر إلى (ممدوح) قائلا :

ـ ما رأيك فيما رأيته ؟

قال وملامح الدهشة مرتسمة على وجهه :

ـ هذا الشخص يعد ظاهرة غير طبيعية ولديه سلاح فتاك بلا شك .

تحدث العميد (يحيى) قائلًا :

ـ أجل .. إنه بمثابة آلة رهيبة للقتل .

ـ هل هناك أية بيانات تدل على شخصه ؟

العميد (يحيى) :

ـ مع الأسف ليست لدينا أية بيانات بشأنه حتى الآن لكن من الواضح من لكنته أنه ليس مصريًا .. لهجته تدل على أنه من إحدى دول شمال إفريقيا .. الجزائر أو المغرب تقريبًا .

اللواء (مراد) :

ـ وقد أطلعنا الدكتور (رائف) على صورته لكنه لم يستدل عليه وأكد أنه لا يمت لموظفى المركز والعاملين به بأى صلة ولا يعرف عنه أى شىء .

غمغم (ممدوح) قائلا :

ـ إذن ما هى علاقته بعلماء المركز ؟ وهل يمكن أن تكون له صلة بمقتل العالمين المصريين السابقين أيضًا ؟

اللواء (مراد) :

ـ ربما .. وربما ليس وحده الذى لديه تلك الخاصية الرهيبة لكن الشىء المؤكد أنه أو غيره لم يرتكبوا تلك الجرائم بطريقة عشوائية .. فلابد أن هناك سببًا ما يدعوهم لاغتيال هؤلاء العلماء بالذات وبتلك الطريقة المروعة .

مما يعنى أن الخطر قائم بالنسبة لبقية العلماء الآخرين وهذا ما يتعين علينا إيقافه والتصدى له .

فكر (ممدوح) قليلًا .. ثم قال :

ـ أريد أن أقابل هذا الشخص بنفسى .

العميد (يحيى) :

ـ لا أظن أنه سيمكنك التوصل معه لشىء .. فقد رأيت حالته بنفسك .

ـ لا مانع من محاولة أخرى بطريقة مختلفة .

اللواء (مراد) :

ـ فليكن .. لكن كن حذرًا .. فالرجل كما رأيت يمكن أن يتحول فى أى لحظة إلى آلة قتل مخيفة .

***

نظر (ممدوح) إلى الشخص المقيد والجالس أمامه وقد اختفت عيناه خلف عدسات نظارته السوداء .

بينما وقف شخصان خلفه وعلى مسافة قريبة منه يراقبانه بدقة وحذر .

وقد طلب (ممدوح) منهما مغادرة الغرفة ليتركاه معه بمفرده .

لكن الرجلين بدا كل منهما مترددًا فى تنفيذ ما طلبه منهما للحظات قبل أن تلقيا أمرًا عبر سماعات الاتصال فى آذانهما غادرا على أثره الغرفة .

بينما تحول (ممدوح) إلى صاحب النظارة السوداء قائلا :

- يمكننا الآن أن نتعارف .. ما رأيك لو أخبرتنى باسمك أولًا ؟

بقى الرجل صامتًا لبرهة من الوقت قبل أن يغمغم قائلًا :

ـ لا جدوى مما تفعلونه .

ـ ماذا تقصد ؟

ـ لست وحدى .. هناك آخرون .

ـ من هم ؟ وما هى أهدافهم ؟

قال بصوت متحشرج :

ـ لديهم هدف واحد .. القتل .

ـ قتل من ؟ ولماذا ؟

عاد الرجل لينظر إليه صامتًا .

فغادر (ممدوح) مكانه ليقترب منه وهو يستحثه على الكلام قائلًا :

ـ أخبرنى عن هؤلاء .

لكنه لم يتخلَّ عن صمته .. فعاد ليسأله واضعًا يده على كتف الرجل وهو يقول :

ـ أريدك أن تطلعنى على سر ذلك الشعاع الغريب الذى ينبعث من عينيك !

هز رأسه بعنف قائلًا :

ـ لا فائدة .. سأموت قريبًا كما مات غيرى .

ـ لا تخشَ شيئًا .. لا بد أن تساعدنى لكى أساعدك .. يجب أن تجيب عن أسئلتى حتى .....

لكنه تجاهله ليهذى بكلمات غير مفهومة مرددًا :

ـ إنه المصير المنتظر لكل منا .. هناك .. تلك المزرعة ..

والأبقار .. ليست الأبقار هى المهمة .. بل أدوات الدمار التى تختفى خلفها .

ـ أية مزرعة ؟ وأية أبقار ؟.. تكلم .

عاد جسده إلى الانتفاض بشدة وهو يستطرد قائلًا :

ـ إنها على أرضكم .. خلف المصنع الكبير .. ابحثوا عن صاحبها الحا ... لحايـ ...

وفجأة تدلى رأسه فوق صدره بعنف دون أن ينطق بكلمة واحدة أخرى .

فقام (ممدوح) بفحصه ليتبين له أنه قد فارق الحياة .

***

الفصل الثالث

غادر (ممدوح) مطار بيروت مستقلاً سيارة أجـرة فى طريقه إلى إحدى المنتجعات السياحية ، وقد ظل طوال الطريق يفكر فى ذلك المجهول الذى ينتظره وهو فى طريقه إلى هناك .

خاصة أنه يعتمد فى مهمته هذه المرة على معلومات ضئيلة ومبهمة ربما لا تقوده إلى شىء .

فقد مات الشخص الذى عقد عليه الآمال فى الحصول على معلومات ذات قيمة دون أن يخبره بشىء عدا بعض كلمات غير مترابطة لشخص يهزى عن مزرعة أبقار .. خلف مصنع كبير .. وحرف أو اثنين لاسم مجهول ..

هذا هو كل ما لديه فى مواجهة طلاسم تلك الجرائم الغامضة وبمحاولة ربطها ببعضها البعض أصبح كل المتوافر لديه هو تلك المزرعة المخصصة لتربية الأبقار غرب السويس والتى تقع خلف مصنع الكيماويات والتى يمتلكها شخص يدعى (كرم الحايك) .

هذا كل ما أمكن له أن يتوصل إليه ودون أن يكون هذا الذى توصل إليه مؤكدًا .

والأغرب من ذلك ما جاء فى تقرير الطبيب الشرعى بعد فحصه لجثة ذلك الشخص الغامض من إصابته بمرض سرطان المخ .

فقد ورد فى التقرير أنه تبين وجود ورم فى المخ بالإضافة لرقاقتين إلكترونيتين تم زرعهما بمهارة فى تلافيف المخ لتلقى إشارات عن بعد من جهة غير محددة .

فالرجل كان مريضًا .. وقد أجريت له جراحة .. لكنها لم تسفر عن إزالة الورم المستشرى فى مخه بل يبدو أن الغرض منه فقط كان هو زرع تلك الرقاقتين بداخله .

جلس (ممدوح) إلى إحدى الموائد المطلة على المنتجع السياحى متأملًا المكان الممتد أمامه بنظارته المكبرة .

وعلى مسافة غير بعيدة وقف أحد الأشخاص يراقبه بعناية قبل أن يقترب منه ليقول :

ـ هل أعجبك المكان ؟

التفت إليه قائلًا :

ـ لا بأس به .

قال الرجل وهو يجلس إلى مائدته :

ـ لا أظن أنك جئت إلى هنا فقط لتنعم بأسبوع سياحى فى هذا المنتجع .

هز (ممدوح) كتفيه قائلًا :

ـ ولِمَ لا ؟ ربما فكرت فى ذلك .

حدق الرجل فى وجهه بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ ماذا تريد يا سيد (كمال) ؟

ـ هل أتشرف بمعرفة اسم محدثى أولًا ؟

ـ اسمى (كنعان) .. (كنعان العايد) .

ـ عفوًا لكننى ظننت أننى سالتقى بالسيد (كرم الحايك) .

ـ هو أوفدنى لمقابلتك نيابة عنه ومعرفة سبب طلبك لهذه المقابلة .

ـ سمعت أن لديه مزرعة فى مصر ولديه النية فى بيعها لذا أردت أن آتى إلى هنا للتفاوض بشأن شرائها .

ـ لكن المزرعة بيعت بالفعل .

ـ لكنى علمت أن البيع لم يتم بصفة نهائية .. هناك عقد مبدئى فقط ما بين السيد (أكرم) والمشترى .. وأعتقد أننى أستطيع تقديم عرض أفضل بالنسبة للسعر .

ـ السيد (أكرم) قام بتصفية كل أعماله تقريبًا فى مصر ومن بينها المزرعة ولا أظن أنه سيتراجع فى اتفاقه مع المشترى فهو يحترم اتفاقاته دائمًا .

وفى تلك اللحظة كان (كرم الحايك) جالسًا يراقب ذلك الحديث الذى يدور بين (ممدوح) ووكيل أعماله من خلال شاشة تلفزيونية مغلقة حينما دخل عليه أحد أعوانه ليقف خلفه مباشرة متطلعًا للشاشة بدوره وقد سأله قائلًا :

ـ هل تحريتم بشأنه ؟

قل له الرجل :

ـ لا علاقة لهذا الشخص بأى شىء يتعلق بتجارة الأبقار أو المزارع .. ولا يوجد له سجل تجارى معروف .

والمعلومات المتوافرة بشأنه محدودة وغامضة .

استمر (ممدوح) فى تفاوضه مع الشخص الجالس إليه قائلًا :

ـ أظن أنه ربما لو اطلع السيد (أكرم) على عرضى فربما أتاح لى ذلك أن ....

قاطعه محدثه قائلًا بحزم :

ـ لقد أوضحت لك أن هذا الأمر يعد منتهيًا .

هز (ممدوح) رأسه قائلًا :

ـ يؤسفنى ذلك .. فقد ظننت أنه بإمكانى إقناعكم بالبيع .

وفى تلك اللحظة تحدث (أكرم) إلى وكيل أعماله من خلال سماعة دقيقة خفيها فى أذنه قائلًا :

ـ أخبره أننى أنوى مقابلته .. وحدد له موعدًا مساء الغد .

تأهب (ممدوح) لمغادرة المائدة وقد استرعى انتباهه لحظة الصمت التى ستولت على محدثه وهو ينهض قائلًا :

ـ على أية حال فإننى أنوى البقاء فى السويس بضعة أيام ويمكنكم الاتصال بى لو غيرتم رأيكم .

لكن الرجل أشار له بالجلوس قائلًا :

ـ انتظر يا سيد (كمال) .

وقال مستطردًا :

ـ ربما أمكننى إقناع السيد (أكرم) بالاطلاع على عرضك وإن كنت لا أستطيع أعدك بشىء .

ـ يكفينى ذلك .

ـ انتظر منى اتصالًا مساء الليلة لأحدد لك موعدًا .

***

استقبل الحايك فى منزله الفخم والمطل على المنتجع السياحى مباشرة بفه وهو يقدم له الشراب بنفسه قائلًا :

ـ مرحبًا بك فى لبنان يا صديقى .

قال (ممدوح) وهو يتناول رشفة من العصير :

ـ أشكرك على استضافتى فى منزلك يا سيد (أكرم) .

قال (أكرم) وهو يجلس فى مواجهته واضعًا ساقًا على ساق :

ـ اسمح لى أن أسألك يا سيد (كمال) عن سبب إلحاحك على شراء مزرعتى فى مصر .

ـ لأنها أعجبتنى .

ـ فقط لأنها أعجبتك .

ـ إنها تقع فى موقع ممتاز وتحتوى على مجموعة رائعة من الأبقار بالإضافة لمصنع الألبان الملحق بالمزرعة .

ابتسم (أكرم) قائلًا :

ـ لكن ما أعرفه أنك لم تعمل فى هذا المجال من قبل وليس لك علاقة سابقة بالأبقار والمزارع من هذا النوع .

قال (ممدوح) بثبات :

ـ يبدو أنك تحريت عنى جيدًا يا (أكرم) بك .

ـ أحب دائمًا أن أعرف من الذى أتعامل معه حينما يتعلق الأمر بالأعمال من هذا النوع .

ـ وهذا مبدئى أيضًا يا سيد (أكرم) .. لذا فقد جمعت بعض المعلومات البسيطة بشأنك قبل أن آتى إلى هنا وعلمت أنه لم يكن لك أيضًا أى شأن من قبل بمزارع الأبقار قبل أن تشترى تلك المزرعة فى مصر والتى لم تحتفظ بملكيتك لها سوى شهر ونصف فقط قبل أن تقرر بيعها .

عاد مضيفه ليبتسم قائلًا :

ـ يسعدنى أن ألتقى بشخص يشبهنى فى هذا الشأن .

على أية حال أنا رجل أعمال أولًا وأخيرًا .. ورجل الأعمال يسعى لاستثمار أمواله .

لقد اشتريت هذه المزرعة منذ شهر ونصف كما تقول .. ثم وجدت من يعرض علىَّ شراءها بثمن يقارب ضعف ما دفعته فيها فوافقت على البيع .

وكما ترى فإننى لا أستثمر أموالى فى مجال واحد .. فلدىَّ هنا منتجع سياحى .. ولدىَّ فندق خمس نجوم فى سنغافورة وبعض العقارات فى دبى .

ـ أنا أيضًا رجل أعمال يا (أكرم) بك وأرى فى شراء تلك المزرعة فرصة استثمارية مناسبة لى .. ومستعد لأن أدفع لك ما يزيد على ضعف الثمن الذى دفعته فيها .

فكر قليلًا قبل أن يقول :

ـ عرض مغر .. لكنه يحتاج لبعض الوقت للتفكير ومراجعة الأمر مع المشترى السابق .

هل أنت مستعد لدفع الثمن كاملا ونقدًا ؟

ـ فى حالة موافقتك سأقوم بتحويل المبلغ المطلوب خلال ثلاثة أيام فقط .

ـ حسنًا .. ما رأيك لو استضفتك فى قريتى السياحية بضعة أيام قبل أن أعطيك ردى النهائى ؟

يمكننى أن أوفر لك شاليه أنيق للإقامة بدلًا من ذلك الفندق الذى تنزل فيه .

وافق (ممدوح) قائلا :

ـ سيكون هذا كرمًا بالغًا منك يا سيد (أكرم) .

ـ وفى خلال تلك الفترة سأحاول أن أنهى اتفاقى مع المشترى السابق على أن تحضر أنت الأوراق المطلوبة وتقوم بإجراءتك من أجل تحويل المبلغ المطلوب .

غادر (ممدوح) الشاليه المخصص له فى جنح الظلام ليعتلى سطح ربوة صغيرة تطل على المنتجع السياحى بأكمله متخفيًا بملابس سوداء .

حيث جثا على ركبتيه مندسًا بين مجموعة من الشجيرات الصغيرة وقد أمسك بنظارته المكبرة ذات العدسات الليلية ليستطلع المكان بدقة .

كانت القرية تشع بالأضواء رغم ظلمة الليل .. بعضها ساطعة والبعض خافت .

وقد لاحظ أن هناك جزءًا بعيـدًا فى نهاية القرية السياحية يلفه ظلام دامس .

فقام بتقريب مسافة عدسات نظارته ليلمح عددًا من الأشخاص المسلحين يحيطون بذلك الجزء النائى والمحاط بسور حجرى وأسلاك شائكة كما لو كان ثكنة عسكرية وخلف ذلك السور الحجرى رأى مبنى مسطحًا منخفضًا على مساحة كبيرة من الأرض .

وبدا من الواضح أن الأشخاص المسلحين يتولون حراسة المكان ومنع الآخرين من الاقتراب منه .

وفجأة سمع صوتًا نسائيًا ناعمًا يأتى من خلفه قائلًا :

ـ هل أعجبك المكان ؟

استدار سريعًا ليرى أمامه فتاة بيضاء البشرة لها شعر أسود قصير وعينان خضراوان .. وقد ارتدت جاكتًا جلديًا أسود وبنطلون جينز .

همَّ بإخراج سلاحه لكنها سبقته إلى ذلك مصوبة إليه فوهة مسدسها وهى تستطرد قائلة :

ـ لا داعى لذلك .. فالألعاب النارية تجذب الانتباه .

تطلع إليها قائلًا :

ـ من أنت ؟

ـ اسمى (هيفاء) .. أظن يكفيك هذا .

ـ وماذا تريدين ؟

قالت له بنبرة ساخرة :

ـ يجدر بى أن أسألك أنا هذا السؤال .

ـ أنا .. أنا أستشكف المكان .

قالت وقد ارتسمت ابتسامة تهكمية على شفتيها :

ـ تستكشف المكان .

ـ أجل إنها هواية قديمة لدىّ فأنا أحب أن أتعرف على معالم المكان الذى أقيم فيه دائمًا .

قالت له متهكمة :

ـ دعابة سيئة فهى لا تثير الضحك .

قال لها ساخرًا :

ـ يؤسفنى أننى لم أستطع إضحاكك .

بينما قالت له بجدية :

ـ هل تأملت المكان حولك جيدًا ؟

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ كان يتعين عليك أن تستكشف المكان المحيط بك أولًا قبل أن تسعى لاستكشاف ما هو أبعد .

وأشارت إلى بضعة شجيرات قريبة مستطردة :

ـ فتلك الشجيرات مثلًا تختفى بداخلها كاميرا مراقبة دقيقة الحجم ويوجد مثلها عدة كاميرات أخرى فى مناطق متفرقة لمراقبة المتطفلين أمثالك ممن يحشرون أنفهم فيما لا يتعين عليهم أن يحشروها فيه .

فالسيد (أكرم) يكره المتطفلين .

تأملها قائلًا :

ـ هل تعملين لحسابه ؟

ـ أنا أحد حراس الأمن فى هذا المكان .

مد إليها يده ليصافحها قائلًا :

ـ يسعدنى أن نتعارف .

لكنها تراجعت خطوتين إلى الوراء دون أن تمد له يدها وهى تلوح بمسدسها فى وجهه قائلة :

ـ لكننا لم نكمل التعارف بعد يا سيد ...

قال لها مبتسمًا :

ـ (كمال) .. لابد وأنك تعرفين اسمى ما دمتى بارعة فى مجال عملك على هذا النحو .

ـ لا أظن أنه اسمك الحقيقى .

قال لها ساخرًا :

ـ إذا لم يعجبك الاسم يمكننى أن أبدله .. ما الاسم الذى تفضلينه ؟

ـ أفضل أن نكون أكثر وضوحًا وصراحة فى التعامل فيما بيننا فالوقت المتاح للعودة إلى الشاليه المخصص لك قبل أن يتبينوا مغادرتك له قصير وهذا ليس فى صالحك مطلقًا .

لذا فكما ترى ليس لديك الوقت الكافى للمزاح .

ـ هل أفهم من هذا أنك حريصة على مصلحتى ؟

ـ ربما تكون بيننا مصلحة مشتركة لو وافقت على أن نتعاون معًا .

ـ كيف ؟

ـ أظن أن مسألة المزرعة التى ترغب فى شرائها من (أكرم) مجرد وسيلة وليست غاية لهدف آخر تسعى وراءه .

ـ أى هدف تقصدين ؟

ـ الهدف الذى جئت من أجله خصيصًا إلى هذا المكان والذى دفعك لمحاولة استكشاف المنطقة المحرمة التى تقع خلف المنتجع السياحى مباشرة .

وأظن أيضًا أن شخصية رجل الأعمال التى تدعيانها هى مجرد قناع يخفى وراءه رجل استخبارات أو ما شابه .

ضحك قائلًا :

ـ يبدو أن لديكِ خيالًا واسعًا يا عزيزتى .

لوحت له بمسدسها قائلة :

ـ تقدم أمامى .

ـ إلى أين ؟

قالت له بلهجة آمرة :

ـ قلت لك تقدم .

أطاعها لتقوده إلى الشجيرات التى تختفى فيها كاميرا المراقبة حيث أشارت إليها قائلة :

ـ انظر إلى هذه الكاميرا جيدًا .

***

www.riwaya.ga

الفصل الرابع

دقق (ممدوح) النظر فى الكاميرا قائلًا :

ـ إنها معطلة .

ـ أنا التى عطلتها حتى لا يروك .. لولا ذلك لرأيت كلابهم تسعى فى أثرك الآن وبصحبتهم عدة رجال مسلحين .

نفض يده قائلًا :

ـ وما هى مصلحتك من وراء حمايتى ؟

ـ أريدك أن تخبرنى أولًا عن سبب مجيئك إلى هنا .. وما الذى تهدف إليه ؟

قال لها ساخرًا :

ـ لمجرد أنك أريتنى كاميرا معطلة .. لا أظنك ترينني بهذه السذاجة .

ـ بل لأننى أريد أن يساعد كل منا الآخر .

ـ ما زلت لا أفهم يا عزيزتى أى نوع من المساعدة ذلك الذى تتحدثين عنه .

ـ إننى أعمل مع (أكرم الحايك) مجبرة .

قال لها مستخفًا :

ـ حقًا .. لماذا ؟

ـ لأنه يحتجز زوجى رهينة لديه .

ـ زوجك .

ـ أجل .. زوجى عالم مختص بالإلكترونيات الدقيقة وقد اضطره (أكرم) تحت التهديد أن يعمل ضمن فريق متخصص بهذا المجال فى مشروع غامض.. لكنه يبدو على قدر كبير من الخطورة .

وصمتت فجأة وهى ترهف السمع .

ثم ما لبثت أن تحولت إليه قائلة :

ـ يحسن أن تعود إلى الشاليه على الفور فأنا أسمع صوت أقدام تقترب من هنا .

أومأ برأسه قائلًا :

ـ لا بأس .. لكننا سنعاود الحديث فى هذا الشأن مجددًا .

قالت له بقلق :

ـ اذهب الآن .

استدار عائدًا .. لكنه ما لبث أن توقف ليستدير إليها قائلًا :

ـ بالمناسبة ما هو اسمك بالكامل ؟

ـ (هيفاء العدنانى) .. هيا اذهب سريعًا .

***

ذهب (ممدوح) مساء اليوم التالى إلى أحد الملاهى فى بيروت .. وما كاد يجلس إلى إحدى الموائد حتى أقبل عليه أحدهم ليحييه بحرارة قائلًا :

ـ نورت بيروت أخى العزيز .

صافحه (ممدوح) مبتسمًا وهو يقول :

ـ وحشتنى يا (غسان) .. مضى وقت طويل منذ آخر لقاء جمعنا .

ـ أجل يا صديقى أربع سنوات تقريبًا .. لكن ها نحن قد عدنا للالتقاء والعمل معًا من جديد .

كان المتحدث هو (غسان نصرى) أحد عملاء الاستخبارات اللبنانية والذى سبق له التعاون مع (ممدوح) فى إحدى المهمات السرية على الحدود بالقرب من الأراضى اللبنانية .

دعاه (ممدوح) للجلوس قائلًا :

ـ ماذا تشرب ؟

قال له محتجًا :

ـ الله يسامحك .. أنت ضيفنا وعلينا نحن أن نكرمك .

ـ دعك من هذه الشكليات وقل لى ماذا لديك من معلومات بشأن ذلك الرجل ؟

ـ (أكرم الحايك) .. إنه رجل أعمال كبير ومعروف بالفعل ولديه استثمارات عديدة فى لبنان وغيرها من الدول .

لكن بعض مصادر أمواله غير معروفة على وجه التحديد وهناك بعض الشكوك بشأنها لذا فإن شرطة الأموال العامة تراقبه منذ فترة .

لكنه ليس بالأمر الهين .. فالرجل حذر للغاية ولديه جيش من المتخصصين فى مجالات عدة يعملون على تأمينه .

قال (ممدوح) باهتمام :

ـ وماذا عن ذلك الرجل الذى أرسلت لك صورته ؟ هل هناك علاقة ما تربطه بهذا الثرى ؟

ـ تقصد (نديم عسران) .. لقد تحريت عن ذلك لكنى لم أصل إلى شىء مؤكد بشأن وجود علاقة تجمع بين الرجلين .. عدا ...

ـ عدا ماذا ؟

أخرج (غسان) صورة من جيبه ليقدمها إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ تلك الصورة التى التقطها أحد عملاء شرطة الأموال العامة والتى تجمع بين الرجلين فى إحدى الساحات .. وهى صورة لم يعرها الجميع اهتمامًا باعتبار أن الشخص الذى تتحرى عنه ليس لديه أى سجلات جنائية ولا تحيطه شبهات من أى جانب فى لبنان .

ـ وماذا عن الفتاة ؟

ـ اسمها (هيفاء العدنانى) بالفعل .. كانت تعمل كمدربة رياضية فى إحدى الأندية قبل أن تلحق بالعمل لدى (أكرم الحايك) كحارسة أمن .. وزوجها عالم إلكترونيات متخصص .. له بعض الأبحاث المتقدمة فى مجال الإلكترونيات الدقيقة .. وقد اختفى من عمله ومنزله منذ شهرين دون أن يترك خلفه أى أثر .

غمغم (ممدوح) قائلًا :

ـ إذن فالفتاة لم تكذب .

ـ المعلومات التى جمعناها تشير إلى صحة ما قالته لك .

ربت (ممدوح) على ساعد الرجل مبتسمًا وهو يقول :

ـ أشكرك يا صديقى على تلك المعلومات القيمة .

ـ لا شكر على واجب يا أخى .. أنا فى خدمتك دائمًا .

ـ نسيت أن أسألك عن التحويل البنكى .

ـ توجد بعض الصعوبات البسيطة .. لكننا نعمل على حلها .

ـ اسمع يا (غسان) .. لا بد أن يتم ذلك فى أسرع وقت ممكن حتى لا نثير شكوك ذلك المدعو (أكرم) .

ـ هناك اتصالات تجرى الآن بين البنك المركزى المصرى والبنك الوطنى اللبنانى وستنقضى المشكلة خلال الساعات القادمة .. سأتصل بك هاتفيًا لأخبرك عن ذلك .

ـ إذن إلى اللقاء .

تجول (ممدوح) داخل القرية السياحية حتى وصل إلى بوابة معدنية محكمة الغلق والتى تفصل بين القرية والسور الحجرى المحاط بالأسلاك الشائكة حيث يوجد ذلك المبنى الغامض .

وقد أخذ يتأمل البوابة جيدًا محاولًا البحث عن منفذ يمكنه من اجتيازها للوصول إلى السور القائم خلفها .

وما لبث أن اقتربت منه سيارة صغيرة مفتوحة كتلك التى تستخدم فى ملاعب الجولف .. وقد أطل منها (كنعان) ليحدثه قائلًا :

ـ هيه يا صديقى ما الذى أتى بك إلى هنا .

قال (ممدوح) بهدوء :

ـ أردت التجول قليلًا فى المكان .

ـ القرية بها أماكن جميلة أكثر إغراء من تلك البوابة المعدنية.. ألا تتفق معى فى ذلك ؟

قال له مبتسمًا :

ـ بالفعل .. لكنه الفضول .

غادر سيارته ليقترب منه قائلًا :

ـ احذر فالفضول يصبح مضرًا أحيانًا .

ـ هل أعتبر هذا إنذارًا أم تهديدًا ؟

ابتسم الرجل وهو يربت على كتفه قائلًا :

ـ اعتبره نصيحة مخلصة .. لقد جئت لأخبرك أن السيد (أكرم) باع مزرعته بالفعل فى مصر بصفة نهائية ولم يعد هناك مجال لأى مفاوضات أخرى .

ـ يؤسفنى ذلك .

ـ هذا لا يمنع من تمضية بقية الأسبوع فى قريتنا السياحية على نفقة (أكرم) بك إذا أردت .

ـ هذا عرض كريم من جانبه .. لكن لا أظن أننى أستطيع البقاء هنا الآن فلدىَّ مصالح أخرى يتعين علىَّ السعى وراءها .

ـ كما تريد .. لقد شرفتنا على أية حال يا سيد (كمال) .

عاد (ممدوح) إلى فندقه فى بيروت وهو يفكر فيما يتعين عليه أن يفعله فى المرحلة القادمة بعد أن تم إبعاده عن المنتجع .

وبينما هو جالس أمام شاشة التلفاز استرعى أنتباهه ذلك الحادث المروع الذى انقضى منذ عدة ساعات .

والذى يشير إلى اقتحام أربعة أشخاص لأحد البنوك الوطنية اللبنانية واستيلائهم على خمسة عشر مليون دولار من البنك بعد أن قاموا بقتل عدد من موظفيه ومديره .

وأكثر ما أثار انتباهه تلك الطريقة التى قتل بها هؤلاء الموظفين أثناء السرقة .

فقد وجدوا جميعًا وفى جبهتهم ثقوب سوداء ناجمة عن إشعاع اخترق المخ وأدى إلى الوفاة فى الحال .

نفس الطريقة التى لقى بها العلماء المصريون مصرعهم .

وتابع بقية النشرة ليجد أن أغلب الشهود من عملاء البنك وموظفين ممن نجوا من تلك الفاجعة وقد أجمعوا على أن مرتكبى جريمة السطو أطلقوا أشعة غريبة من أعينهم على ضحايهم أدت لأن يلقوا حتفهم على هذا النحو .

وأن الرصاصات التى أطلقها حراس الأمن على السارقين لم تحدث بهم أى أثر ولم تحُل دون إتمامهم لجريمة السطو بعد أن أثاروا رعب الموجودين داخل البنك .

غمغم (ممدوح) قائلًا :

ـ لابد أنهم رجال (حايك) وشريكه .

وفى تلك اللحظة رن هاتفه فوضعه على أذنه ليسمع صوت صديقه (غسان) يحدثه قائلًا :

ـ هل علمت بحادث السطو ؟

ـ رأيته لتوى على شاشة التلفاز .

ـ أتظن أن (لحايك) وأعوانه يدًا فى تلك الجريمة ؟

ـ الطريقة التى قتل بها موظفو البنك وأقوال الشهود تدل على ذلك .

ـ إذن لا بد أن نتحرك سريعًا لمهاجمة المكان الذى أشرت إليه فى القرية السياحية .

ـ بل أعتقد أنه يتعين علينا أن نتروى قليلًا .

ـ لكن ما حدث اليوم يعـد خطيرًا للغـاية ولم يسبق حدوثه فى لبنان من قبل .. جريمة سطو بطريقة غير تقليدية ومقتل العديد على هذا النحو يقتضى التحرك السريع .

لقد تم وضع خطة لمهاجمة المكان بمشاركة المخابرات اللبنانية وقوة من الشرطة والجيش وأردت أن أخبرك فقط فيما لو أردت أن تشارك فى تلك المداهمة .

ـ ما زلت أرى أنه يجب التمهل قليلًا قبل الإقدام على ذلك (فأكرم) أذكى من أن يحتفظ بأولئك الأشخاص الذين يستخدمهم فى مكان كهذا بعد أن أصبح هدفًا مكشوفًا لرجال الأمن .. وخاصة بعد أن وجد أننى أشك فى أمره .. وبالذات بعد جريمة كبيرة كهذه .

ـ آسف يا صديقى .. لم يعد هناك مجال للتراجع .. لقد صدر القرار والمداهمة ستتم بعد أربع ساعات من الآن .

***

انقضت قوة الاقتحام على المكان ليندفع رجالها فى كل جزء من أجزاء المبنى بعد محاصرتهم له دون أن يعثروا على شىء عدا صوبات نباتية متفرقة ومعمل كبير للأبحاث حول النباتات الصحراوية والأسيوية النادرة وحوض سباحة كبير يتوسط المكان .

وما لبث أن حضر (أكرم الحايك) ووكيل أعماله وقد بدا وجهه محتقنًا من شدة الغضب ليتحدث إلى قائد القوة قائلًا :

ـ هل يمكنك أن تفسر لى معنى ذلك يا سيادة العقيد ؟

قال له الرجل مرتبكًا :

ـ عفوًا ولكنى أنفذ الأوامر .

ـ أية أوامر تلك التى تسمح لكم باقتحام ملكيتى الخاصة على هذا النحو؟

ـ لدينا معلومات بشأن وجود أعمال مريبة وتضر بالأمن القومى فى هذا المكان المحاط بحراسة مشددة ويحيطه الغموض .

قال (أكرم) ساخرًا :

ـ الأمن القومى .. من أين أتتكم هذه المعلومات السخيفة ؟ وكيف صور لكم خيالكم أن شخصًا مثلى يمكن أن تكون له أية علاقة بالإضرار بالأمن القومى ؟ يا سيدى .. أنا رجل أعمال ومستثمر له اسمه ومكانته فى هذا المجال.. وهذه الأرض التى اقتحمتموها عنوة ودون استئذان هى ملك لى وتابعة للمنتجع الصحى والقرية السياحية التى أمتلكها .

ـ المعلومات التى وردت إلينا تشير إلى وجود علاقة بين الأشخاص الذين سطوا على البنك اليوم وهذا المكام .

ضحك بسخرية قائلًا :

ـ جريمة سطو على بنك هل صور لكم خيالكم أننى زعيم عصابة .

وانقلبت سخريته إلى غضب جامح وهو يقول منفعلًا :

ـ إننى أحتج على مجرد التلميح بذلك .

وما لبث أن تدخل وكيل أعماله ليتحدث إلى قائد القوة قائلا :

ـ يا سيدى هذا مجمع أبحاث لدراسة أنواع نادرة ومختلفة من النباتات التى تنوى زراعتها فى ذلك المكان على هيئة مزارع متنوعة قبل إلحاقها بالمنتجع الصحى .

خاصة أنها تشمل نباتات طبية شديدة الندرة والتميز مما يجذب العديد من السائحين وراغبى العلاج بالأعشاب إلى المنتجع .

وأظن أنكم قد تبينتم ذلك بأنفسكم .. وأنه لا علاقة مطلقًا للمكان بأى مجرمين أو حوادث إجرامية من ذلك النوع الذى تتحدث عنه .

أشار إليه (أكرم) قائلًا :

ـ إننى سأقاضيكم على ذلك .

انصرف قائد مجموعة الاقتحام وقد نزع كل من (ممدوح) و(غسان) اللثام عن وجهيهما .. حيث تحول قائد الفرقة إليه وهو فى حالة من الضيق ليقدم له جهاز اللاسلكى قائلًا :

ـ الرئيس يريد أن يحدثك .

وحدثه رئيسه قائلًا بحدة :

ـ لقد ورطتنا فى هذه العملية دون داعٍ وها نحن سنصبح الآن محل اتهام ومقاضاة بسبب معلوماتك غير الدقيقة .

(غسان) :

ـ يا فندم المعلومات التى حصلت عليها كانت تشير ....

قال له منفعلًا وهو يقاطعه :

ـ كان عليك أن تتأكد من معلوماتك قبل أن ننجرف إلى اقتحام ملكية خاصة لرجل أعمال له مكانته فى الدولة على هذا النحو .. لقد تم تنحيتك عن المهمة المكلف بها بشأن (أكرم الحايك) وعلى العميل المصرى تولى ذلك الأمر بمفرده وعلى مسئوليته الخاصة فقط .

ـ لكن يا فندم ...

ـ هذا أمر وعليك تنفيذه .

أغلق جهاز اللاسلكى وهو يلتفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ يبدو أنه كان يتعين علىَّ أن أستمع لنصيحتك .

ـ قلت لك أن الرجل أذكى من ذلك .. لكن هذا لا يعنى أننى سأتخلى عن مهمتى .

ـ لقد صدرت الأوامر بتنحيتى عن هذه المهمة .

ـ آسف لأنى ورطتك معى .. منذ الآن سأتولى الأمر بمفردى .

قال (غسان) مصرًا :

ـ اسمع .. إذا كنت قد نحيت عن المهمة بصفة رسمية .. فهذا لا يعنى أننى سأتخلى عن تقديم المساعدة بصفة شخصية .

ـ لا داعى لأن تورط نفسك أكثر من ذلك .. أنا أعرف ما الذى يتعين علىَّ أن أفعله .

ـ الأمر ليس بالسهولة التى تظنها .. فهناك خطر داهم فى انتظارك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ أعرف ذلك .. لكن لا تنسَ أن المخاطر هى جزء أساسى من عملى .

***

عاد (ممدوح) إلى الفندق ليجد حجرته منقلبة رأسًا على عقب .. وقد بدا أنها فتشت بدقة ..

وبينما هو يعيد ترتيب أشيائه تلقى اتصالًا هاتفيًا ليسمع أحدهم يحدثه قائلًا :

ـ عذرًا إذا كنا قد أحدثنا بعض الفوضى فى غرفتك .

قال (ممدوح) منفعلًا :

ـ من المتحدث ؟

ـ لا يهم .. فلتعتبر هذا مجرد إنذار لكى لا تتدخل فيما لا شأن لك به .

ـ لا أفهم ما الذى تعنيه ؟

ـ بل تفهمنى جيدًا يا سيادة المقدم .. لقد كنت ضمن قوة المداهمة التى اقتحمت المنتجع الصحى بالأمس .. أليس كذلك ؟ هل تظن أننا لم نتعرف عليك رغم القناع الذى أخفيت به وجهك ؟

ـ إذن فأنت ممن يعملون لحساب (أكرم الحايك) .

ـ قلت لك لا يهم من أكون .. المهم أن تصدق أنه يمكننا الوصول إليك فى أى مكان .. إذا لم تكن عاقلًا بالقدر الذى يجعلك لا تدس أنفك فيما لا شأن لك به .. وإذا لم يكن هذا الإنذار رادعًا لك بالقدر الكافى .. فلابد أن المفاجأة التى أعددناها من أجلك ستجعلك أكثر تعقلًا .

عليك فقط أن تسرع بالذهاب إلى منزل زميلك (غسان) قبل أن تبرد سخونة المفاجأة التى تنتظرك هناك .

أغلق المتحدث سماعة الهاتف بينما بدا (ممدوح) منزعجًا لما سمعه .

فسارع بمغادرة حجرته لينطلق بسيارته إلى منزل (غسان) .

وهناك وجد باب الشقة مواربًا فاندفع إلى الداخل ليجد صديقه موثق اليدين من الخلف وقد تدلى عنقه فوق صدره بعد أن شنق بحبل يتدلى من سقف إحدى الحجرات .. وكانت المفاجأة صاعقة بالنسبة له .

***

الفصل الخامس

غادر (الحايك) حوض السباحة بعد أن قضى فيه نصف ساعة يسبح باستمتاع .

وقد سارعت إحدى الفتيات الجميلات لتساعده على ارتداء روب الاستحمام قبل أن يسترخى فى مقعده المريح المواجه لحوض السباحة مباشرة .

وعلى مقربة منه وقف وكيل أعماله (كنعان العايد) يتحدث فى الهاتف .

بينما قامت فتاة ثانية بتقديم سيجار كوبى فاخر إليه وإشعاله له .

وتأهبت فتاة ثالثة من فتياته الجميلات لتعطيه كأسًا من الشراب وقد مد يده ليأخذه منها .

لكن قبل أن تلمس أصابعه الكأس انطلقت رصاصة فجأة لتهشمه وتحوله إلى شظايا متطايرة فى الهواء .. لامس بعضها وجه الرجل .

عقدت المفاجأة ألسنة الجميع فى حين أسرع (كنعان) مهرولًا نحو رئيسه .

ومن فوق التل الأخضر المطـل على المنتجع أعـاد (ممدوح) بندقيته التلسكوبية إلى حقيبتها الجلدية .

ثم توارى بين الأشجار ليتناول هاتفه متصلًا بـ (كنعان) وهو يقول :

ـ أنا أيضًا لدىّ مفاجآتى يا سيد (كنعان) .. وأستطيع أن أصل إليك وإلى سيدك وقتما أشاء .. تلك الطلقة مجرد دفعة بسيطة تحت الحساب انتقامًا لمقتل (غسان) .

لكنها البداية فقط .. ومازال الحساب مفتوحًا بيننا .

قال (كنعان) وقد استشاط غضبًا :

ـ كيف جرؤت على فعـل هـذا أيها الوغد ؟ ستكون العاقبة وخيمة وستدفع ثمنًا غاليًا ...

لكن سرعان ما تناول (أكرم) الهاتف من يده وقد احتقن وجهه من شدة الغضب قائلًا بصوت أجش :

ـ لقد حكمت على نفسك بالموت هذه المرة .. ثق أنك ميت .

ألقى (ممدوح) بالهاتف استعدادًا للهرب .

بينما التفت (أكرم) إلى (كنعان) قائلًا :

ـ أريد هذا الكلب حيًا .. سأتولى أمره بنفسى .

انطلق (كنعان) وأعوانه بصحبة الكلاب الشرسة المدربة بحثًا عن (ممدوح) قبل تمكنه من الهرب .

بينما الأخير يركض بقوة هابطًا التل ليتخذ طريقه بين الشاليهات المتناثرة فى المكان وسط دهشة رواده .

وما لبث أن وصل إلى بقعة نائية فى إحدى أطراف القرية وهو ينصت لصوت زمجرة الكلاب ونباحها يقترب منه تدريجيًا .

وفجأة برز أمامه أحد الأشخاص القائمين على حراسة المنتجع ليشهر سلاحه قائلا :

- إلى أين تذهب ؟

لكنه قفز نحوه سريعًا ليعاجله بلكمة قوية جعلته يترنح ثم سدد ضربة بحد حذائه إلى كعب الرجل طرحته أرضًا قبل أن يجثم على صدره ليعاجله بلكمة أشد قوة أفقدته الوعى وقام بتجريده من سلاحه .

وازداد قلقه مع ازدياد اقتراب صوت نباح الكلاب .

وفجأة رأى سيارة صغيرة تقترب منه .. وقد أطل من نافذتها وجه الفتاة التى ساعدته من قبل وهى تصيح فيه قائلة :

- هيا .. اركب سريعًا .

وفتحت له باب السيارة المجاور لها ليقفز بداخلها .

ثم انطلقت بالسيارة بأقصى سرعة إلى خارج المكان .

قالت له وهى تقود سيارتها :

- كان تصرفًا أحمق منك ذلك الذى فعلته مع (أكرم) .

- تعرفين بالطبع أنه وأعوانه قتلوا صديقى .

- تقصد زميلك فى الاستخبارات اللبنانية .

- إذن فأنت تعرفين كل شىء .

صمتت الفتاة بينما استطرد قائلًا :

- إلى أين نذهب ؟

- إلى أى مكان بعيدًا عن هنا .

تفحصها بنظراته قائلًا :

ـ لماذا تساعدينني ؟

ـ قلت لك من قبل أنني أريدك أن تساعدني بدورك في تحرير زوجي من بين أيديهم .

هز رأسه قائلًا :

ـ لكن قصتك لم تقنعني كثيرًا .

التفتت إليه قائلة :

ـ وإنقاذي لك الآن لم يقنعك أيضًا .. على أية حال ليس لديك بديل آخر سوى أن تصدق ما أقوله .

هم يعرفون من أنت ؟ ويصرون على القضاء عليك خاصة بعد فعلتك المتهورة الآن .

وإذا كانوا قد أبقوا على حياتك حتى هذه اللحظة فذلك لأنهم يريدون معرفة أي قدر من المعلومات توصلتم إليه بشأن ما يدور في المكان الذي يسيطر عليه (أكرم) وأعوانه .

وتوقفت أمام فيلا صغيرة قائلة :

ـ هيا بنا .

ـ إلى أين ؟

ـ إنها فيللتي الصغيرة .. كنت أقيم فيها مع زوجي قبل أن يختطفوه ويجبروه على العمل معهم .

وفي الداخل أعدت له فنجانًا كبيرًا من القهوة لتقدمه له قائلة :

ـ والآن يا سيادة المقدم (ممدوح) .. هل أنت مستعد لنتعاون معًا ؟

ـ ما اسم زوجك ؟

ـ الدكتور (وائل فريحة) .. ومع الآسف منذ أن ألحقوه بذلك المعمل السرى وأنا عاجزة عن الاتصال به بأية وسيلة .. فهم يصرون على عدم وجود أى اتصال بيننا قبل أن ينهى عمله معهم .. وأنا واثقة أنهم سيتخلصون منه بطريقة ما بعد أن يقدم لهم ما يحتاجونه .

أنت تريد الوصول إلى المكان الذى يطلقون من خلاله أولئك القتلة أصحاب العيون المشعة .. وأنا سأساعدك فى الوصول إليه .. وفى المقابل تعدنى بتحرير زوجى من بين أيديهم وإعفائه من أى مسئولية تجاه هذا العمل الإجرامى وتشهد بأنه كان يعمل تحت إكراه .

ـ وهل تعرفين أين يكمن هذا الوكر الذى يتخذونه لإجراء تجاربهم وإخفاء أولئك القتلة ؟

صمتت فجأة وهى تصغى السمع قبل أن تهتف قائلة :

ـ إنهم قادمون .

أسرع (ممدوح) بإشهار سلاحه .. لكنها حذرته قائلة :

ـ لن يجدى ذلك .. فهم يحاصرون المكان .

قال لها منفعلًا :

ـ كيف تمكنوا من الوصول إلى هنا ؟

ـ لابد أنهم كانوا يتتبعوننا .

وأشارت له قائلة :

ـ أعطنى سلاحك .

ـ لن أستسلم لهم دون مقاومة .

ـ قلت لك لن يجـدى ذلك .. سيقضون عليك قبل أن تتمكن من إشهار سلاحك .

أرجوك أعطنى هذا السلاح وثق فىّ فقد أصبحنا حليفين منذ هذه اللحظة.

نظر إليها مترددًا .. ثم ما لبث أن أعطاها سلاحه .

وفى اللحظة التالية كان أعوان (أكرم) قد اقتحموا المكان شاهرين أسلحتهم. حيث رأوا (هيفاء) وهى تصوب سلاحها إلى (ممدوح) قائلة :

ـ لماذا تأخرتم ؟

اقترب أحدهم ليجذبه من سترته قائلًا :

ـ تقدم أمامى .

***

وفى تلك اللحظة كان هناك حوار يدور بين (أكرم الحايك) والدكتور (نديم) الذى بدا منفعلًا وهو يحدثه قائلًا :

ـ كان يمكنك أن تؤجل عملية البنك هذه مؤقتًا كما نصحتك بدلًا من أن تلفت الأنظار إلينا على هذا النحو ؟

لقد أصبح هذا المكان الآن محل شك بالنسبة لهم ولن ينتهى الأمر عند هذا الحد بعد أن وضعوا أعينهم علينا .

أشعل (أكرم) سيجاره وهو يحتد بدوره قائلًا :

ـ ولماذا لم تعمل بهذه النصيحة عندما أرسلت عددًا من هؤلاء الأشخاص للتخلص من غرمائك فى مركز الأبحاث ؟

ـ كان يتعين علىَّ أن أسوى حسابى مع كل أولئك الذى رفضوا مشروعى واتهمونى بالجنون .

ـ وأنا ساعدتك على تحقيق ذلك حتى إننى قمت بشراء مزرعة كبيرة خصيصًا فى مصر لتكون مركزًا لتجاربك السرية ولتصبح قريبًا من الهدف الذى تسعى لأجله .

ـ وبعت المزرعة بأكثر من الثمن الذى اشتريتها به فى النهاية .

ـ لكن عرضت نفسى لمخاطرة كبيرة آنذاك .. ولولا إصرارك على قتل هؤلاء العلماء المصريين قبل أن نبدأ فى تنفيذ أهدافنا الحقيقية ما كانوا قد أرسلوا هذا العميل المصرى إلى لبنان للتحرى عنى .. واقتربوا منا إلى هذا الحد .

ـ وبالرغم من ذلك صممت على استخدام أولئك الأشخاص لمصلحتك مبكرًا وقبل الموعد المحدد .

قال له بخشونة :

ـ يجب أن تعرف جيدًا أنه لولاى ما كنت قد أنجزت ما أنجزته حتى الآن . لقد رفض ذلك المركز الذى عملت به تمويل تجاربك وزملاؤك كانوا يعتبرونك مجنونًا .. ولم يؤمن أحد بمشروعك قبل أن تعرضه علىَّ وأقبل أن أقوم بتمويلك وتوفير كل الإمكانيات اللازمة لتنفيذ ما أردت .

ـ كنت أسعى لهدف علمى وابتكار علاج فعال لأورام المخ .

أطلق (أكرم) ضحكة عالية قائلًا :

ـ هل تخدعنى أم تخدع نفسك يا دكتور ؟ إن عبقريتك تجلت حينما حولت هدفك فى اتجاه آخر .. وهو استخدام مرضاك ليكونوا أداة قتل إشعاعية مبرمجة وجاهزة لتنفيذ ما نريده .

وكان الهدف هو استخدامهم لتنفيذ عمليات سرقة كبرى قبل أن يلقوا حتفهم .. لأنهم كانوا محكومًا عليهم بالموت خلال فترة وجيزة بالفعل .

ولولا ذلك ما وافقت على إنفاق كل تلك الأموال وعرضت نفسى لكل تلك المخاطر من أجل تنفيذ مشروعك .

ـ لقد أخبرتك من قبل أن هناك أعراضًا جانبية للتجارب التى نجريها بشأن هؤلاء المرضى قد تؤدى إلى إفساد كل عملنا فى النهاية مما يتعين علينا أن ننتظر قليلًا حتى نجرى المزيد من التجارب قبل تسخيرهم لتنفيذ خططنا .

ـ لست مستعدًا للانتظار أكثر من ذلك .. لقد استخدمت بعضهم بنجاح للانتقام من زملائك فى المركز فلمَ لا نستخدمهم لتنفيذ ما أردناه .

ـ وها هو قد سقط أحدهم فى أيدى أجهزة الأمن المصرية قبل أن نتأكد من قدرتنا على محو ذاكرتهم فى حالات مماثلة .

مما عجل برحيلنا عن مصر قبل انكشاف أمرنا .

وها أنت تكرر نفس الخطأ بالإصرار على السطو على البنك فى نفس البلد الذى نخفيهم فيه ونجرى عليهم تجاربنا .

www.riwaya.ga

ـ أنت الذى رفضت أن نرسل بهم إلى الخارج لتحقيق ما نريده .

ـ هذا لأنهم لا يملكون القـدرة بعـد على الاستجابة للتوجيه عن بعد أو المناورة ونحن ليس لدينا حتى الآن هذه التقنية .

كما أنك بحاجة لأماكن سرية تسمح لهم باللجوء إليها قبل أن يتمكن رجال الشرطة من القبض عليهم وتصبح محل مطاردة دولية .. الأمر يحتاج بعض الوقت والتدبير .

ـ لا بد أن تسرع فى تنفيذ ما بدأته .. أريد أن ينتهى الأمر خلال أيام معدودة .. فقد أنفقت الكثير من المال لرعاية تجاربك تلك وقد آن الأوان للحصول على العائد من وراء تلك النفقات الباهظة .

وما إن غادر المكان حتى استدعى (أكرم) أحد الأشخاص ليستقبله قائلًا :

ـ ما رأيك فيما سمعته ؟

ـ هذا الرجل يدبر أمرًا .. وأظن أنه متى تبين نجاح تجاربه سيحاول الاحتفاظ بهذا النجاح لنفسه وسيصبح مصدر خطر عليك وعلى الجميع .

ـ هل لديك فكرة جيدة عن الطريقة الآمنة التى يمكن بها استخدام مرضاه لتحقيق أهدافنا ؟

ـ أنا الآن أمتلك خبرة كبيرة فى هذا الشأن ولدىّ شخص موثوق به فى إجراء هذا النوع من الجراحات .. وكذلك برمجة الأشعة .. أما التوجيه عن بعد باستخدام الرقائق الإلكترونية فى تنفيذ العمليات المطلوبة فأنا الأفضل فى هذا المجال .. نحن بحاجة فقط لبعض التجارب الأخيرة بشأن المكان الأمثل للسيطرة العقلية على المخ وتأجيل الأعراض المرضية على الأشخاص الذين

يتم إخضاعهم لسيطرتنا بضع ساعات أطول بعد إتمام العمل المطلوب منهم ، وهذا الأمر يحتاج يومًا أو اثنين على الأكثر .

ـ حسنًا .. بعد أن ينتهى كل ذلك سأتخلص منه لتتولى أنت العمل مكانه . وساضاعف أجرك فى حالة ما إذا كنت جديرًا بتولى تلك المسئولية لكنى أحذرك من أن تفكر بالطريقة التى يفكر بها هذا الوغد ، فأنت تعرف جيدًا أننى لا أرحم من يحاول خداعى أو خيانتى مهما كان شأنه وأظن أن سلفك سيكون خير مثال لك فى ذلك وسيذكرك دائمًا بالعواقب الوخيمة لمن يسعى للتلاعب بـ (أكرم الحايك) .

***

الفصل السادس

وقف (ممدوح) والفتاة محاطين بأربعة أشخاص مسلحين يتقدمهم (كنعان) حينما دخل (أكرم) الحجرة .. متطلعًا إلى (ممدوح) بنظرة مستخفة وهو يقول :

ـ ها نحن قد التقينا مجددًا يا سيد (كمال) أو (ممدوح) أيًا كان الاسم الذى يدعونك به .. كان تصرفًا غير لائق منك أن تتسلل إلى المنتجع كاللصوص دون إذن صاحبه .

ولم يكن من اللائق أيضًا أن تفسد علىَّ شرابى بتلك الطريقة غير المهذبة وبعد أن استضفتك على حسابى فى هذا المكان .

لقد تعاملت مع كرمى باستهانة شديدة وهذا شىء لا يغتفر .

قال (ممدوح) برابطة جأش :

- وكذلك قتل صديقى (غسان) بتلك الطريقة الوحشية التى قتله بها رجالك لم يكن ليغتفر .

صفعه (أكرم) بقوة قائلًا :

- ثق أنك ستدفع ثمن هذا غاليًا .

استشاط (ممدوح) غضبًا محاولًا الانقضاض عليه .. لكنه تلقى ضربة قوية على رأسه أفقدته الوعى .

بينما أشار (أكرم) إلى أعوانه قائلًا :

ـ خذوه من هنا .

والتفت إلى المرأة مستطردًا :

ـ لقد قمتِ بعملكِ كما يجب .

ابتسمت قائلة :

ـ فى خدمتك دائمًا يا (أكرم) بك .

ـ لكنى لا أفهم سبب مساعدتك له على الهرب بداية .

ـ بعض الحيل النسائية قد تكون أجدى فى هذه الحالة من الخشونة التى يتعامل بها رجالك .. فقد أردت استخلاص قدر من المعلومات منه حول الجهة التى أرسلته والأشخاص الذين يتعاونون معه وما إذا كان هناك آخرون يحومون حول المكان .

www.riwaya.ga

ـ وهل تمكنتِ من ذلك ؟

ـ كنت قد بدأت فى ذلك لكن مداهمة رجالك لمنزلى بتلك السرعة لم تمكننى من الحصول على كل ما أريده .

ـ إذن سيتعين عليك أن تكملى ما بدأته معه بعد أن يسترد وعيه وقبل أن نتخلص منه .. ولكن فى أسرع وقت ممكن .

أريد أن أعرف كل شىء بشأن المعلومات التى لديهم عنا وما هى خططهم بهذا الشأن ؟

ـ سيكون لك ما تريد يا سيدى .

وما إن انصرفت حتى اقترب (كنعان) منه وفى عينيه نظرة متشككة قائلًا :

ـ إننى لا أثق كثيرًا فى هذه المرأة .

غمغم (أكرم) قائلا بدوره :

ـ وكذلك أنا لكنى أحتاج إليها فى الوقت الحالى بقدر احتياجى لزوجها.. عليه أن ينهى العمل الذى بدأه أولا ثم نتخلص من كليهما فيما بعد .

ـ هل ترتاب به هو الآخر ؟

قال له وقد ضاقت حدقتاه :

ـ لم أعتد أن أمنح ثقتى لأحد بلا حدود .. أظنه هو و (نديم) يتنافسان على الفوز بالغنيمة وحدهما فى النهاية .

ويظن كل منهما أننى بالسذاجة التى تجعلهما يستغلاننى بقدر حاجتهما لى .. وبعدها يظفر أحدهما بكل شىء .

ـ وماذا ستفعل إذن بشأنهما ؟

ـ سأقضى عليهما واحدًا تلو الآخر لكن بعد أن يحققا لى ما أريده أولًا .

بعض عمليات سطو كبرى فى عدة بلدان مختلفة توفر لى ثلاثة مليارات جنيه .. ثم ينتهى الأمر تمامًا بالنسبة لهذا المشروع الذى احتضنته وما يشمله من الصواعق البشرية .

أظن أنه مبلغ يكفى ليكفل لى حياة رغدة بقية العمر .

وضحك مستطردًا وهو ينظر إليه :

ـ ولا تخشَ شيئًا .. فسوف تنال نصيبك من تلك الحياة الرغدة أيضًا .

ثم ما لبث أن تبدلت ملامحه مردفًا :

ـ المهم أن يكون الجميع تحت أعيننا دون أن نغفل عنهم لحظة واحدة .

ابتسم (كنعان) قائلًا :

ـ بالطبع يا (أكرم) بك .

ـ ولا تنسَ تلك المرأة وهذا الضابط المصرى .

ـ إنهما مراقبان بالفعل .

***

استرد (ممدوح) وعيه وقد أخذ يتحسس رأسه متألمًا حينما رآها تجلس على مقربة منه وهى تتطلع إليه بتؤدة .

فنظر إليها قائلًا :

ـ أظن أنه قد غرَّر بى .

ـ إنهم ينتظرون منك مزيدًا من المعلومات حول المهمة التى أتيت من أجلها إلى هنا .

قال لها مستخفًا :

ـ وبالطبع أنت المكلفة بذلك .

تلفتت حولها قبل أن تهمس له قائلة :

ـ اسمعنى جيدًا .. كلانا أصبح فى خطر .. فـ (أكرم) وأعوانه يرتابون بى .. لذا يتعين علينا أن نغادر هذا المكان سريعًا .

ـ وهل تنتظرين منى أن أصدق ذلك ؟

قالت له بعصبية :

ـ الأمر لم يعد يحتمل المزيد من عدم الثقة .. سأساعدك على الخروج من هنا .. وعليك أن تقرر وحدك بعدها ما إذا كنت تريد مغادرة هذا المكان تمامًا أم الاستمرار فى مهمتك .

ـ هل تستطيعين حقًا إخراجنا من هنا ؟

نهضت قائلة :

ـ سنرى .

واستخدمت إحدى الكروت الممغنطة فى فتح الباب .

ثم أطلت برأسها إلى الخارج قبل أن تشير إلى (ممدوح) مستطردة :

ـ هيا .. اتبعنى .

لكنه ما كادا يخطوان بضع خطوات عبر الممر خارج الحجرة حتى برز لهما أربعة رجال مسلحين يتقدمهم (كنعان) وقد رمق الفتاة بابتسامة قاسية قائلًا :

ـ حسنًا .. هذا ما أردت أن أعرفه من البداية .. فأنا لم أثق بك أبدًا .

حاولت استخدام سلاحها .. لكن أحدهم انقض عليها من الخلف ليلوى معصمها ويجبرها على التخلى عنه محيطًا عنقها بساعده .

بينما أشار (كنعان) إلى اثنين من أعوانه قائلًا :

ـ أحضراها إلى القاعة المجاورة فلها حساب خاص معى .

وأردف قائلًا للآخرين :

ـ وأعيدا هذا الوغد من حيث أتى .

اقتاده الرجلان إلى الداخل دافعين به لأحد المقاعد وقد تأهب أحدهما لشد وثاقه فى المقعد وهو يحمل فى يده أغلالا معدنية .

حيث تظاهر (ممدوح) بالاستسلام مرخيًا ساعده فوق ذراع المقعد حينما انحنى الرجل لوضع أحد طرفى القيد المعدنى حول رسغه .

لينتهز فرصة لحظة انحنائه منهالًا عليه فجأة بلكمة فولاذية ارتج لها جسده مترنحًا .

وقبل أن يتمكن زميله من استخدام سلاحه كان قد قفز فى الهواء ليسدد له ركلة عنيفة جعلته يرتطم بزميله فيطرحه أرضًا .

وسرعان ما انقض على القيد المعدنى الذى سقط من يد الشخص الأول أثر تلقيه اللكمة ليضرب به الثانى فى وجهه ضربة قوية آلمته بشدة .

وانهال على يده بضربة أشد قوة أجبرته على إلقاء سلاحه أرضًا بعد أن طاشت رصاصاته فى الهواء .

ثم حمل المقعد الذى أرادا أن يكبلانه إليه ليهوى به على رأس غريمه فسقط أرضًا مغشيًا عليه .

وبينما الأول يحاول الوقوف على قدميه عاجله (ممدوح) بضربة ساحقة من مؤخرة سلاح زميله بعد استيلائه عليه ليفقد الوعى بدوره .

ليسرع بشد وثاقهما وتكميم أفواههما بأشرطة لاصقة متأهبًا لمغادرة المكان .

وفى أثناء ذلك كانت (هيفاء) راقدة على ظهرها فوق الفراش وقد قيد معصميها بأحزمة جلدية إلى القوائم المعدنية للسرير .

حيث وقف (كنعان) فى مواجهتها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة وهو يتأملها قائلًا :

- لطالما تمنيت أن تجمعنا تلك اللحظة السعيدة .

نظرت إليه فى تحدٍّ يمتزج بالخوف قائلة :

- ما الذى تريده ؟

قال دون أن يتخلى عن ابتسامته الساخرة :

- أظنك تعرفين ما الذى أريده جيدًا .

قالت وقد ازداد خوفها :

- لن يقبل منك (أكرم) بك أن تعتدى على زوجة واحد من أهم العاملين لديه .

قال لها متهكمًا :

ـ هو أيضًا لا يقبل ولا يغفر أن يخونه أحد العاملين لديه مثلما فعلتِ .

ـ أنت وهو لا تفهمان الأمور على حقيقتها .. دعنى أقابله لأوضح له كل شىء .

ـ الحقيقة واضحة تمامًا يا عزيزتى ولا تحتاج لشرح ..

واقترب من الفراش مستطردًا :

ـ على أية حال يمكن لأى شىء آخر أن ينتظر .. أما الآن فلا بأس من قضاء بعض الوقت الممتع معًا .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ إياك أن تقترب منى .

ضحك بسخرية قائلًا :

ـ حاولى أن تمنعينى .

وازداد اقترابًا .

فركلته بقوة فى وجهه محاولة منعه من لمسها .

لكنه ابتسم وهو ينزع عنه ثيابه قائلا :

ـ هذا يزيد من إعجابى بك .. فأنا أميل دائمًا للمرأة الشرسة وأعرف كيف أروضها جيدًا .

وهوى على وجهها بصفعة قوية آلمتها بشدة قبل أن يبدأ فى تمزيق ثيابها .

وفى الخارج وقف شخص مسلح أمام باب الحجرة وهو يبتسم ساخرًا دون أن يعبأ بصرخاتها .

وبينما هو يشعل لنفسه سيجاره لم ينتبه لـ (ممدوح) وقد تسلل إلى المكان على أطراف قدميه ليختفى وراء أحد الأعمدة على مسافة غير بعيدة عنه .

وقد بادر بحل الحزام الملتف حول خصره لينزع عنه الجزء الداخلى حيث يوجد غطاء جلدى صغير يخفى كرة أصغر حجمًا من كرة التنس المعروفة .

وقام بتحريك الجزء العلوى من الكرة حركة بسيطة قبل أن يدحرجها على الأرض لتنزلق أمام الرجل المسلح .. والذى أصابته الدهشة وهو يراها تمر أمامه على هذا النحو .

ثم قام بملاحقتها ليلتقطها من الأرض وهو يحركها بين أصابعه متسائلًا فى دهشة :

- من أين أتت هذه الكرة الغريبة ؟

وفجأة انفجرت الكرة بين يديه لينبعث منها دخان رمادى كثيفة أحاط بوجهه ليسقط على الأرض غائبًا عن الوعى .

وعلى الفور اندفع (ممدوح) بسرعة البرق ليستولى على سلاحه واقتحام الحجرة قبل أن يتمكن (كنعان) من الاعتداء على المرأة .

ليصوب إليه سلاحه قائلًا :

ـ كنت أعرف أنك وغد .. وها أنا قد تبين لى أنك حيوان أيضًا .. هيا انهض متراجعًا إلى الوراء ويداك فوق رأسك .

قال (كنعان) ببرود :

ـ سأمنحك الفرصة لتغادر هذا المكان دون أن تتعرض للأذى .. فلا تكن غبيًا واهرب الآن قبل أن تغادره جثة هامدة .

قال (ممدوح) بحزم :

ـ كف عن الثرثرة وحل وثاق الفتاة على الفور .

وفجأة أحس بفوهة مسدس تضغط على رأسه من الخلف وصوت أمر يأتيه قائلًا :

ـ ألقِ بسلاحك وإلا فجرت رأسك .

تردد (ممدوح) قليلًا وقد عاد محدثه ليقول :

ـ سأعد حتى ثلاثة بعدها ستتحول هذه الرأس إلى أشلاء .

وبدأ فى العد حتى الرقم اثنين فتظاهر بالإذعان منحنيًا قليلًا ليلقى بسلاحه . لكنه فاجأ غريمه بتسديد ضربة قوية بسلاحه الآلى إلى ساقه .. ليختل توازنه ويسقط على ظهره وقد طاشت رصاصته لتستقر فى سقف الحجرة .

وقبل أن يستعيد توازنه مرة أخرى كان قد انهال على رأسه بالجسم المعدنى لسلاحه ليفقده الوعى وهو يركل مسدسه بعيدًا .

بينما بادر (كنعان) بتصويب مسدسه نحو (ممدوح) .

لكن الأخير سارع بانتزاع الخنجر من جراب الشخص الفاقد الوعى ليقذف به إلى ذراع غريمه قبل أن يضغط على الزناد .

صرخ (كنعان) متألمًا وقد سقط المسدس من يده .

فانقض عليه (ممدوح) بسرعة الرياح ليصيب فكه بعدة لكمات قوية ومتتالية طرحته أرضًا وبلا حراك .

ثم قام بحل وثاق الفتاة سريعًا وقد انقلب إعياؤها إلى غضب عارم وهى تلتقط المسدس الملقى على الأرض لتصوبه إلى (كنعان) وهى تصيح قائلة :

- سأقتلك أيها الوغد القذر .

لكن (ممدوح) منعها من ذلك قائلًا :

- لا وقت أمامنا .. ولا داعى لجذب الانتباه إلينا ببعض الطلقات النارية . المهم أن نبادر بمغادرة المكان سريعًا .

أشارت إلى باب خلفى قائلة :

- أعرف مكانًا مختصرًا يمكن أن يقودنا إلى خارج القرية بأسرها .

لكنه استوقفها قائلًا :

- لا أنوى مغادرة المكان قبل إنهاء مهمتى هذه المرة .

- لكن حياتك أصبحت فى خطر شديد الآن .

ـ لابد أن أتسلل إلى حيث يخفون فيه تلك الآلات البشرية القاتلة .

هزت رأسها موافقة وهى تقول :

ـ حسنًا .. سأنضم إليك للعمل على تحرير زوجى من بين أيديهم أيضًا .

ـ إذن فلنذهب إلى الشاليه الخاص بك والقريب من هذا المكان .

تطلعت إليه بدهشة قائلة :

ـ الشاليه الذى أقيم به .. ولكن لماذا ؟

ـ لأننى أحتفظ فيه ببعض المعدات التى سنحتاجها لتنفيذ عملنا .

ـ كيف ؟

ـ سأخبرك ونحن فى الطريق .

وبينما هما فى طريقهما إلى الشاليه حدثها قائلًا :

ـ لقد تمكنت من معرفة مكان إقامتك بطريقة ما وتسللت إليه خلسة أثناء مغادرتك له .

حيث وجدت فيه مكانًا مثاليًا لإخفاء معداتى باعتبارك واحدة من القائمين على حراسة المنتجع فلا يمكن أن يتطرق إليه الشك .

واستطعت أن أزحزح دولاب ثيابك لأخفى معداتى خلفه بعد تثبيتها على الجدار بأشرطة لاصقة كبيرة وقوية متحملًا المخاطرة فى هذا الشأن .

واقتربا من الشاليه .. لكنه استوقفها قبل الدخول إليه قائلًا :

ـ انتظرى .. هل تركت النور مضاءً قبل مغادرتك للشاليه ؟

ـ لا أظن ذلك .. خاصة أننى غادرته فى فترة الظهيرة .

ـ أرى بصيصًا من الضوء ينبعث من الداخل .. يبدو أن لديك بعض الزوار .

ولاحظ أحد الأشخاص يجول حول المكان حاملًا سلاحه فأطلق صفيرًا خافتًا جذب انتباهه .. فى حين تحركت (هيفاء) بين الأشجار المجاورة للمكان وقد تعمدت أن تحرك بعض أفرعها وأوراقها مما جعله يتحرك فى اتجاهها حاملًا مسدسه .

وما إن اقترب من المكان حتى فوجئ بـ (ممدوح) يثب فوقه من بين أفرع الأشجار ليطرحه أرضًا .

بينما ضربت المرأة بكعب حذائها على رسغه لتجبره على التخلى عن سلاحه .

وسرعان ما جثم (ممدوح) فوق صدره ليسدد له عدة لكمات أفقدته وعيه .

وقد تعاون مع زميلته لإخفائه بين الأشجار بعد أن قامت المرأة برش رذاذ من سائل مخدر على أنفه لتضمن غيابه عن الوعى لأطول وقت :

وتقدما زحفًا عبر البوابة المحيطة بالشاليه .

حيث رفع (ممدوح) رأسه قليلا ملقيًا نظرة سريعة من خلال فتحات الشيش لإحدى النوافذ المجاورة .

وهو يهمس لها قائلًا :

ـ إنهم يفتشون المكان .

ـ هذا يعنى أنهم سيعثرون على معداتك .. كم يبلغ عددهم ؟

ـ ثلاثة أشخاص .. أظن أنه يمكننا التعامل معهم .

وأشار لها لتتقدم عبر الباب فى حين قام هو بالالتفاف من الخلف ناحية الشرفة القريبة من الأرض .

***

الفصل السابع

دفعت الباب بقدمها فى قوة شاهرة سلاحها ليفاجأ الأشخاص الثلاثة بظهورها على هذا النحو .

لتقول بلهجة آمرة وحازمة :

ـ ارفعوا أيديكم عاليًا .. وحذارى من أى حركة خاطئة وإلا انتهت بالقضاء على صاحبها .

ولم تشعر وهى واقفة أمامهم على هذا النحو بوجود شخص رابع تسلل من خلفها حاملًا سكينًا حادًا فى يده وقد استعد لطعنها به .

وسرعان ما برز (ممدوح) من خلف الرجال الثلاثة بعد تمكنه من التسلل عن طريق الشرفة ليصوب سلاحه إلى حامل السكينة مطلقًا رصاصة أصابته فى الحال .

فوجئت (هيفاء) بما حدث واستدارت وراءها مذعورة .

بينما استغل الآخرون الفرصة ليهاجموها بأسلحتهم .

حيث أصابها أحدهم برصاصة فى كتفها لتصرخ متألمة .

ورد عليه (ممدوح) برصاصة بسلاحه .. مسددًا فى نفس اللحظة ركلة قوية فى صدر أقربهم إليه جعلته يرتد إلى الخلف بعنف .

وسرعان ما انهال الثالث بضربة قوية بمضرب بيسبول على يد (ممدوح) ليطيح بمسدسه .

ثم دفعه فى صدره بقوة ليرتطم بالجدار خلفه وهو يدفع بفوهة سلاحه إلى جبهته قائلًا :

ـ انتهى أمرك يا عزيزى .

لكن (ممدوح) عاجله بضربة قوية بركبته اليمنى ما بين فخذيه آلمته بشدة وأجبرته على الانحناء قبل أن يهوى بكلتا قبضتيه على رأسه فيجبره على السقوط على ركبتيه .

ودار حول نفسه ببراعة مسددًا ركلة حديدية إلى وجهه طرحته أرضًا وجعلت سلاحه يطير منه فى الهواء .

وبنفس البراعة التقطه (ممدوح) قبل سقوطه على الأرض .

لكن أحدهم نجح فى الإمساك بالمرأة محيطًا عنقها بساعده وهو يصوب مسدسه إلى رأسها قائلًا :

ـ انتهى العرض .. إذا لم تلقِ بسلاحك ستلقى صديقتك حتفها على الفور .

لم يجد (ممدوح) بدًّا من التخلى عن سلاحه .

وفجأة اقتحم المكان أحد أصحاب النظارات السوداء لينزع نظارته عن عينيه مطلقًا شعاعًا أزرق أصاب أحدهم فى رأسه فخر صريعًا فى الحال .

وتحول إلى الشخص الذى يحتجز المرأة مطلقًا عليه أشعته ليفجر رأسه التى تصاعدت منها الأدخنة .

سارع (ممدوح) بجذب المرأة نحوه ليطرحها معه أرضًا خلف أريكة فى إحدى أركان الردهة .

بينما تقدم صاحب العينين المشعتين بالصواعق إلى الداخل مطلقًا أشعته الصاعقة فى كل الاتجاهات ملاحقًا الشخصين الآخرين .

وهما يطلقان عليه رصاص أسلحتهما بدورهما وهما فى حالة من الهستيريا والرعب .

لكن رصاصتهما لم تحدث أثرًا يذكر فى جسد غريمهما الذى ظل يلاحقهما دون أن تسقط منه نقطة دماء واحدة .

مما أصاب (ممدوح) بالدهشة إزاء هذا المشهد المثير .

كان الشعاع المنبعث من عينيه المخيفتين يحرق كل شىء يرتطم به ويحوله إلى رماد .. شاشة التلفاز على الحائط والمقاعد .. وقد بدا كصاعقة بشرية تتحول فى المكان وسرعان ما أصاب الثالث بأشعة عينيه ليلحقه بزميليه بينما سرع الأخير إلى الحجرة المجاورة ليقفز من شرفتها إلى الخارج لائذًا بالهرب .

وما لبث أن تحول القاتل المرعب إلى (ممدوح) ورفيقته .

حيث قام بإطلاق أشعة عينيه نحوهما ليحرق جزءًا من الأريكة التى يحتميان بها .

وقد أطلق (ممدوح) رصاصتين على صدره دون جدوى .

ليزداد اقترابًا وهو يستعد للإجهاز عليهما .

لجأ (ممدوح) إلى محاولة أخيرة باستخدام ما تبقى فى خزينة مسدسه مطلقًا رصاصتين على رأسه وجبهته .

حيث أطلق الرجل صرخة مدوية وقد تدفقت الدماء من رأسه قبل أن يهوى أرضًا بلا حراك .

جفف (ممدوح) عرقه متنفسًا الصعداء .. فى حين بدت المرأة فى شبه إغماءة قبل أن تتمكن من الوقوف على قدميها .

وفجأة سمعا صوتًا يأتى من الخارج قائلًا :

ـ هو ذاك .. تلك هى الطريقة الوحيدة للقضاء على تلك الصواعق البشرية .. أصابته فى الرأس أو العينين مباشرة .

ولو أنى كنت أستعد لإيقافه عن طريق جهاز التحكم معى .

وتقدم صاحب الصوت إلى الداخل وفى يده جهاز صغير يشبه أجهزة التحكم عن بعد .

كان الرجل طويل القامة ذا شارب أصفر كثيف .

وقد تطلع إليهما قائلًا :

ـ على أية حال فقد زال الخطر مؤقتًا لكن الحرب بدأت ولم تتوقف بعد.

هرعت (هيفاء) إليه قائلة :

ـ منير .. أخيرًا يا حبيبى .

ضمها إليه بحرارة قائلًا :

ـ افتقدتك كثيرًا يا حبيبتى .

قدمته إلى (ممدوح) قائلة :

ـ هذا (منير) زوجى الذى حدثتك عنه .

تقدم لمصافحة (ممدوح) وهى تشير إليه قائلة :

ـ إنه (ممدوح) العميل المصرى الذى أخبرتك عنه .

ـ يسعدنى أن نلتقى .. فقد أخبرتنى زوجتى عنك وأشادت بك كثيرًا .

قالت له زوجته :

ـ كيف تمكنت من الهرب ؟

ـ انتهزت فرصة الحرب الدائرة الآن بين (أكرم) وأعوانه من ناحية وصواعق (نديم) البشرية من جهة أخرى لأتمكن من الهرب .

سأله (ممدوح) باهتمام قائلًا :

ـ معذرة .. لكن أريد أن أعرف ما الذى تقصده بكلمة الحرب .

ـ لقد تمرد الدكتور (نديم) على مموله بعد احتدام الصراع بينهما فقرر كل منهما أن يسعى لتصفية الآخر للانفراد بملكية أولئك القتلة المبرمجين لنفسه .

وهكذا أراد (أكرم) وأعوانه التخلص من الدكتور (نديم) الذى انتبه لما يدبر له فقام بدوره بإعداد أصحاب العيون المشعة للقضاء على (أكرم) ورجاله .

وهم منتشرون الآن فى الجزء الخلفى من المنتجع فى حرب يسعى فيها كل منهم للفتك بالآخر .

ـ هل يمكنك أن نشرح بإيجاز سر أولئك الأشخاص أصحاب العيون المشعة ؟

ـ لقد اعتمد الدكتور (نديم) على دعاية مزيفة قام بترويجها لنفسه توحى بقدرته على علاج الحالات الميئوس منها للمصابين بأورام المخ مجانًا وعلى حسابه الخاص .

مما جعل العديد يلجئون إليه بغرض الشفاء خاصة أولئك الفقراء الذين لا يملكون التكاليف الباهظة للعلاج من هذا المرض الخطير .

وقام باختيار عدد من هؤلاء المرضى ممن لجئوا إليه بعناية من بين أولئك الذين ليست لهم علاقات أسرية واجتماعية قوية ليقوم بعزلهم فى أماكن بعيدة لمدة شهرين تحت إشرافه بدعوى ضرورة عزلهم عن العالم الخارجى لعلاج مكثف طوال هذه الفترة أثناء وبعد الجراحة بهدف تحقيق العلاج المطلوب .

ثم قام باستغلال هؤلاء البؤساء واستسلامهم التام له أملًا فى الشفاء ليقوم بإجراء بعض الجراحات بمساعدة عدد من معاونيه من المتخصصين فى هذا الشأن ليستبدل جزءًا من الأورام التى يقومون بإزالتها برقائق إليكترونية متصلة بجهاز دقيق الحجم يشبه فى تأثيره أشعة الليزر .

بعد أن يربط بين تلك الرقائق الإلكترونية وأجهزة للتحكم والتوجيه عن بعد .. وبعد برمجة عقول أولئك المرضى وتسخيرهم لتنفيذ إرادته فى إطلاق تلك الأشعة الصاعقة على ضحاياه .. وبعدها بفترة قصيرة يلقى هؤلاء الأشخاص أنفسهم حتفهم بعد أداء الغرض الذى أعدوا من أجله .

غمغم (ممدوح) قائلًا :

- وبتلك الطريقة استطاع أن يقضى على زميليه السابقين فى مركز الأبحاث انتقامًا منهما قبل أن يفشل فى التخلص من الثالث .

- واستخدم بعضهم أيضًا لسرقة البنك وقتل العديد من موظفيه وعملائه .

وإن كانت سرقة البنك قد تمت لحساب (أكرم الحايك) الذى أخذ يلح عليه فى تنفيذها فى حين كان (نديم) يفضل تأجيلها لبعض الوقت لإجراء المزيد من الاختبارات على صواعقه البشرية وتحسين أدائهم .. لكنه انصاع فى النهاية مرغمًا لتعليمات الرجل الذى تولى رعاية برنامجه وتمويله .

ويبدو أن (نديم) رأى فى النهاية أنه لم يعد بحاجة لممول وراع وأنه بإمكانه استخدام ابتكاره الرهيب لحسابه ومصلحته وحده .. فى الوقت الذى

www.riwaya.ga

أحس فيه (أكرم) بذلك أيضًا وأنه يمكنه استثمار أولئك القتلة المبرمجين لصالحه دون حاجة للاستعانة بـ (نديم) فى عمليتين أو ثلاثة يعوضونه عن كل ما أنفقه ويحققون له أرباحًا تتجاوز مئات الملايين .

ـ لكن وكما رأيت فإن أولئك القتلة المبرمجين لم تؤثر فيهم طلقات الرصاص عدا ما أشرت إليه من نقطة ضعفهم المتمثلة فى التصويب على الرأس والعيون مما يصعب من مهمة القضاء عليهم .

ـ هذه هى الإضافة الجديدة أيضًا التى أضافها (نديم) لهم .

واقترب من الشخص الذى أطلق عليه (ممدوح) الرصاص لينزع عنه ثيابه كاشفًا عن درع معدنى تحت ملابسه وهو يستطرد قائلًا :

ـ إضافة دروع معدنية لصواعقه البشرية على نحو يزيد من مناعتهم ويحصنهم ضد القتل لتنفيذ ما يكلفون به من مهام بدون مخاطر كبيرة .

ويبدو أن جواسيس (أكرم) كانوا يعلمون بذلك ومن المؤكد أنهم أطلعوه على نقطة الضعف لدى أصحاب العيون المرعبة وهى الرأس والعينان مما قد يجعل الحرب بينهم متكافئة إلى حد ما فى حالة إذا لم يتم السيطرة على المبرمجين سريعًا بواسطة المعلومات المتوافرة لدى جواسيس (أكرم) وما لديهم من معلومات بشـأن استخدام أجهزة التحكم والتوجيه عن بعد لأن قتل الكثير من هؤلاء الصواعق البشرية يعنى الكثير من الخسائر المادية لـ (أكرم) و (نديم) على السواء .

ومن الواضح أن أعوان (أكرم) الذين هاجمهم أحد هؤلاء المبرمجين الآن لم يكونوا على دراية بطريقة مواجهته والتعامل معه .. بينما خدمك الحظ فى ذلك .

ـ وما هو دورك فى هذا الشأن يا دكتور (منير) ؟

ـ كانت هناك بعض الأخطاء فى استخدام الرقاقات الإلكترونية التى زرعت فى عقول أولئك المبرمجين .

وبما أننى متخصص فى ذلك النوع من الرقائق ولى أبحاث فى مجال تطوير استخدامها قاموا بتقديم عرض سخى لى للعمل معهم لحساب مشروع دكتور (نديم) وإن لم يكشفوا لى كل الحقائق فى البداية لكنى شككت فى الأمر مما دعانى لرفض العرض .

وهكذا قام بعضهم باختطافى لإجبارى على العمل ضمن هذا البرنامج وتطوير تلك الرقائق قبل زرعها فى عقول الصواعق البشرية لأداء مهامهم بدقة وعلى نحو أفضل وكذلك تطوير استخدامات جهاز التوجيه الذى يستطيعون بواسطته السيطرة عليهم وإخضاعهم لأوامرهم .

وشعر (ممدوح) بشىء من الاشمئزاز وهو يرى أصبع الرجل تغوص فى رأس الشخص الذى لقى مصرعه منذ قليل لينتزع منه رقاقة إلكترونية صغيرة ليعرضها أمامه قائلًا :

ـ هذه ببساطة الرقاقة التى تحتوى على جهاز الاستقبال الذى قمت بتطويره والمتصل مباشرة بقاذف الأشعة القاتلة التى يستخدمها أولئك المرضى المبرمجون ضد ضحاياهم .

وعاد لإخراج جهاز التحكم من جيبه ليظهره له مستطردًا :

ـ وعن طريق هذا الجهاز يتم إصدار الأوامر والتعليمات وتوجيه هؤلاء الأشخاص الخاضعين للسيطرة لينفـذوا كل ما يطلبه (نديم) وأعوانه منهم .

نظرت المرأة إلى (ممدوح) قائلة :

ـ هل عرفت الآن حجم الخطر الذى ينطوى عليه هذا المكان المعلون ؟

غمغم (ممدوح) قائلًا :

ـ لذا لا بد من المسارعة بالتصدى له.. أيًا كانت الوسيلة التى سنستخدمها فى سبيل ذلك .

ـ بالنسبة لى يكفينى أن زوجى تمكن من الإفلات من بين أيديهم ونجح فى الهرب من وكر الشيطان هذا .. وما علينا إلا أن نبادر الآن بمغادرة هذا المكان على الفور .

قال زوجها معارضًا :

ـ أتظنين أن الخطر قد زال بالنسبة لى ؟.. وأن الأمر يمكن أن ينتهى عند هذا الحد ؟

إنهم يدركون أننى أصبحت على دراية واسعة بما يدور فى هذا المكان وقد صرت شريكًا فى تجاربهم .. لذا لن يسمح أى من هذين المتصارعين (نديم) وأعوانه من جهة و (أكرم) وأعوانه من جهة أخرى لنا بالابتعاد كثيرًا إلا إذا كنا موتى .

(ممدوح) :

ـ هذا صحيح .. لذا لابد من الخلاص من هذا العمل الشيطانى ولو أدى الأمر إلى تدمير المكان الذى يجرون فيه تجاربهم .

قالت له بقلق :

ـ لكن هذه المواجهة ستكون شديدة الخطورة .

قال (ممدوح) سريعًا :

ـ دعى هذا لى .. المهم أن أصل إلى وكرهم أولًا .

قال (منير) سريعًا :

ـ أستطيع مساعدتك فى هذا الشأن .

***

الفصل الثامن

اقتاد (منير) وزوجته (ممدوح) عبر ممر خلفى إلى المنطقة المحرمة داخل القرية السياحية والتى يفرض عليها (أكرم) وأعوانه نطاقًا من السرية والغموض .. متسللين عبر التلال الخضراء التى تكتنفها مزارع النباتات .

والمحيطة بما يسمى مجمع أبحاث النباتات النادرة والأعشاب الطبية الذى سبق مداهمته عن طريق قوة الاقتحام اللبنانية المشتركة .

حيث صعدوا إلى أحد التلال ليشير الدكتور (منير) إلى المجمع قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ هذا المجمع وتلك النباتات المنتشرة فى المكان وفوق التلال ما هو إلا ستار للعمل الحقيقى الذى يشرف عليه (أكرم) ومعاونوه ويقيم به الدكتور (نديم) والفنيون المصاحبون له .

(ممدوح) :

ـ لقد زرته من قبل لكننا لم نجد شيئًا سوى معامل متخصصة للنباتات النادرة .

ـ هذا المركز أو المجمع النباتى يشرف عليه مجموعة من المختصين بالفعل فى علم النبات وخصائصه .

لكنهم تابعون فى النهاية لـ (أكرم الحايك) ونفوذه .. وهم يوفرون غطاءً جيدًا للتجارب السرية التى يشرف عليها (نديم) .

غمغم (ممدوح) قائلًا :

ـ من المؤكد إذن أن المكان المخصص لتجاربه السرية قد تم إخفاؤه بعناية فائقة .

أشار (منير) إلى تل عشبى فى مواجهتهم من الجهة المقابلة قائلًا :

ـ هنا .. وأسفل هذا التل الذى تراه أمامك يكمن وكر الشيطان .

ـ أريد أن أصل إليه

www.riwaya.ga

ـ هيا بنا .

وضعت زوجته يدها على ساعده لتستوقفه وقد ارتسمت فى عينيها نظرات الخوف قائلة :

ـ دعنا نقف عند هذا الحد .

فابتسم لها وهو يربت على يدها قائلًا :

ـ لم يعد هناك مجال للتراجع .. ابقى أنتِ هنا لتراقبى المكان وكونى على حذر .

بينما ابتعد (ممدوح) عنهما قليلا وهو يحرك مؤشرًا فى ساعة يده حركة عكسية .

وسرعان ما نجم عن ذلك أزيز متقطع فى عدد من الساعات التى تلتف حول معصم مجموعة من الأشخاص الذين يقيمون فى القرية السياحية على بعد مئات الأمتار منهم متخذين مظهر السائحين والباحثين عن الرعاية الصحية والاستجمام .

بينما هم فى حقيقتهم أفراد قوة خاصة مصرية لبنانية مشتركة وقد جاءوا إلى المكان فى انتظار تلك اللحظة التى يتلقون فيها الإشارة .

وعلى الفور قاموا بمغادرة أماكنهم وتبديل ثيابهم وتجهيز أسلحتهم بعد أن بدلوا عقارب الساعات فى أيديهم ليظهر لهم أسفل غطائها الزجاجى خريطة توضيحية مزودة بإشارات ضوئية دقيقة ليتتبعوها حيث المكان الذى يوجد فيه (ممدوح) .

وفى أثناء ذلك كان الأخير يسير بصحبة الدكتور (منير) متنقلين بين التلال المتعرجة فى طريقهما إلى المكان الذى أشار إليه .

وفجأة دفع (منير) برأس (ممدوح) أرضًا ليختفيا عن الأنظار مشيرًا إلى ما يجرى أسفل التل .

وقد رأى معركة عنيفة تدور بين أصحاب العيون المشعة وأعوان (أكرم) تساقط فيها العديد من الضحايا من الطرفين .

همس (منير) قائلا :

ـ لقد صعبت مهمتنا .. فلن يمكننا الوصول إلى مركز التجارب السرية فى خضم تلك المعركة .

لكنه قال بإصرار :

ـ لن أتراجع الآن بعد أن أصبحت قريبًا من الهدف .

وفجأة اشتعلت الأرض العشبية التى يرقدون فوقها على مسافة سنتيمترات قليلة فاصلة بينهما .

فانقلبا سريعًا على ظهريهما ليريا أمامهما أحد أصحاب العيون المشعة واقفًا فى مواجهتهما .

حاول (ممدوح) استخدام سلاحه لكن الخصم المخيف لم يمنحه الفرصة لذلك .

إذ عاود تصويب أشعته القاتلة نحوه لتمرق بجوار رأسه مباشرة .

وتدحرج (ممدوح) على الأرض العشبية بطريقة حلزونية محاولًا تفادى ومضات الإشعاع الذى يصوب إليه .

بينما استغل دكتور (منير) انشغال غريمهما بمهاجمة (ممدوح) ليستخدم جهاز التحكم الذى لديه فى محاولة السيطرة عليه .

حيث توقف فجأة عن الحركة ليتجمد فى مكانه كتمثال أصم .

وسرعان ما اقترب منه ليصوب مسدسه إلى رأسه مطلقًا عليه رصاصة من الخلف أودت بحياته فى الحال .

نهض (ممدوح) واقفًا وهو ينظر إلى الشخص الذى لقى حتفه قائلا :

- لم يكن هناك داعٍ لذلك .. كان يمكنك أن تكتفى بتجميد حركته .

أعاد (منير) المسدس إلى جرابه قائلًا :

- لم يكن هناك مناص من هذا الفعل .. دقيقة واحدة وكان سيعود للحركة من جديد .. فزر الإيقاف الدائم أصبح معطلًا فى جهازى .

وعاد لينظر إلى المعركة الدائرة بأسفل مستطردًا :

ـ مازالت المشكلة قائمة .

ـ أظن أن لدىَّ الحل .. لكنه سيقتضى أن أعبر بمفردى إلى قاعدتهم السرية دون أن تأتى معى إلى هناك .

www.riwaya.ga

ـ لماذا ؟

ـ لأن الوسيلة التى سأستخدمها للعبور لا تكفى إلا لشخص واحد .

لكنك سترشدنى بالطبع إلى الطريقة التى أتمكن بها من الدخول إلى ذلك المكان .

ـ وكيف سيمكنك المرور وسط هذه الحرب المشتعلة ؟

ـ دعنى أعالج تلك المشكلة بطريقتى .. أنا بحاجة فقط لمن يرشدنى إلى وسيلة للتسلل إلى وكر الشيطان من الداخل .

أعطاه (منير) جهازًا إلكترونيًا صغيرًا مزودًا بخريطة ضوئية شارحًا له طريقة استخدامه .

وقد استوقفه قبل أن يبدأ فى التحرك قائلًا :

ـ يحتفظ (نديم) بعدد من الأسطوانات الممغنطة تحتوى على كل مراحل التجارب الخاصة بأعداد الصواعق البشرية والتصميمات التى أدخلها على ابتكاره وطريقة تطويرها .

فى إحدى الخزائن الحديدية بمركز الإشعاع من المهم للغاية أن تحصل عليها لأنها تحتوى على كل أسرار هذا الابتكار الشيطانى .

فتح (ممدوح) حقيبته الجلدية بعد استعادتها ليخرج منها لوحًا للتزحلق .

لكنه يختلف عن كل ألواح التزحلق المعتادة للتزحلق على الأرض أو الجليد .

إذ كان مزودًا ببطارية متوسطة الحجم بأسفله ومضخات هوائية فى مقدمته .. بالإضافة لعصا صغيرة ذات مقبض تشبه مكابح السيارات .

حيث ثبت قدميه فوق لوح التزحلق بأربطة مطاطية وعلق الحقيبة الجلدية على ظهره .

ثم قام بتشغيل البطارية دافعًا بلوح التزحلق من فوق قمة التل ليطير به فى الهواء .

وقد أخذ يوجهه اعتمادًا على العصا متجهًا به نحو التل الذى أشار إليه (منير) والذى اعترته الدهشة لما رآه .

وحلق (ممدوح) فوق التل قبل أن يهبط عليه تدريجيًا مستقرًا فى الجانب الخلفى منه .

وقام بتشغيل الجهاز الإلكترونى الذى سلمه له (منير) ضاغطًا على الزر الذى حدده له ليفاجأ بباب خفى ينفتح أمامه فجأة فى أحد أجزاء التل .

وسرعان ما نفذ من خلاله إلى الداخل وهو يسير بخطوات حذرة .

وما إن تقدم بضع خطوات إلى الداخل حتى برز أمامه فجأة اثنان من أعوان (أكرم) .. أحدهما ضخم الجثة بشكل ملحوظ .

ليشهر أحدهما سلاحه فى وجهه .

لكنه بادره بطلقة سريعة من مسدسه الكاتم للصوت فأرداه قتيلًا .

بينما انقض الضخم عليه قابضًا على رسغه بيد كالفولاذ وقد أخذ يضربها بقوة فى الجدار المجاور لهما حتى أجبره على إسقاط مسدسه .

ثم حمله بين يديه ليرفعه عاليًا قاذفًا به نحو الجدار الذى اصطدم به فى عنف قبل أن يهوى أرضًا .

وانتزع الرجل الضخم خنجرًا حادًا من جرابه تأهبًا لطعنه .

لكن سرعان ما التقط (ممدوح) حقيبته والتى سقطت على مقربة منه جاعلًا الجزء السفلى منها فى مواجهة غريمه .

ومحركا ذراعًا خفيًا فى الإطار المحيط بها .

فانطلق منها سهم رفيع لينغرس فى ساعد الرجل والذى أطلق صرخة عالية وقد أفلت منه الخنجر .

وانتهز (ممدوح) الفرصة ليقفز فى اتجاه المسدس ويتناوله بسرعة البرق ليصوبه إلى خصمه .

لكنه سمع صوتًا خشنًا يأتى من خلفه قائلًا :

ـ أنصحك بإلقائه .

التفت ليجد (كنعان) فى مواجهته وبرفقته اثنان من أعوانه وقد صوب إليه الثلاثة أسلحتهم .

وسرعان ما انهال عليه الرجل الضخم بضربة قوية على رأسه من الخلف ليفقده الوعى .

***

استرد (ممدوح) وعيه ليجد نفسه ممددًا على ظهره فوق طاولة معدنية وقد قيدت يداه وقدماه .

وتلفت حوله ليجد شخصين يرتديان المعاطف البيضاء وقد أوليا له ظهريهما .

حاول أن يحرك رسغيه دون جدوى .

فصاح قائلًا :

ـ أين أنا ؟

وما لبث أن التفت إليه أحدهما ليقول :

ـ أنت فى ضيافتنا يا سيادة المقدم .

نظر إليه بتمعن قائلًا :

ـ أنت (نديم عسران) ؟

قال له مبتسمًا :

ـ الدكتور (نديم عسران) .. من الواضح أنك تعرفنى رغم أنها المرة الأولى التى نلتقى فيها .

قال له بازدراء :

ـ وأعرف أيضًا أنك فرانكشتين الجديد الذى يحول ضحاياه من المرضى إلى قتلة مرعبين .

قال له ساخرًا :

ـ دعك من تلك العبارات الشكسبيرية .. الحقيقة هى أننى ذلك الرجل الذى لم تؤمن دولته والمسئولون فيها بقدراته العلمية الخارقة .

وبدلًا من ذلك استهانوا بنبوغه وقللوا من شأنه وقدراته وطردوه من عمله في الوقت الذى كان يمكنه أن يقدم لهم أقوى سلاح عرفه العالم .

ـ تقصد أبشع استغلال لمرضى تعلقت آمالهم بك لكنك حولتهم إلى آلات للقتل بعد أن سيطرت على عقولهم وأخضعتهم لإرادتك .

نظر إليه باستخفاف قائلًا :

ـ هؤلاء كان محكومًا عليهم بالموت مسبقًا بعد أن تمكن المرض منهم فلمَ لا يتم الاستفادة منهم قبل مجيء النهاية المحتومة ؟

قال (ممدوح) مستنكرًا :

ـ بتحويلهم إلى آلات للسرقة والنهب والقتل .

ـ كان من الممكن أن يكون الوضع مختلفًا لو وافقنى المسئولون فى مصر وزملائى الأعـزاء على مشروعى الذى تقدمت لهم به كان بإمكانى أن أقدم لهم أقوى كتيبة بشرية عرفها العالم من القوات الخاصة المحصنة لتنفيذ عمليات مستحيل أن ينفذها الأفراد العاديون بما زرعته فى أولئك الأشخاص من قدرات غير عادية بدلًا من تحولهم إلى القتل والسرقة والاستفادة الشخصية .

لكنهم أرادوا ذلك ودفعونى لتبديل أهدافى التى سعيت إليها فى البداية .

ـ عن طريق التلاعب بإنسانيتهم وسلبهم إرادتهم .. أتظن أن الأمر سيبدو مختلفًا فى هذه الحالة .. سواء حولتهم إلى لصوص وقتلة أو جنود مبرمجين ؟

النتيجة واحدة .. فهم فى النهاية مرضى لجئوا إليك أملا فى الشفاء لكنك خدعتهم وسلبتهم إنسانيتهم أيًا كانت الشعارات الزائفة التى ترفعها .

لقد ارتكبت جريمة شنعاء لا يمكن التسامح بشأنها يا دكتور (نديم) .

قال ساخرًا :

ـ حسنًا .. لا أظن أننا سنتفق يا عزيزى .

ـ لابد أن تنال عقابك على ما فعلت بهؤلاء وبالذين قتلوا بناءً على توجيهاتك .

استمر على سخريته قائلًا :

ـ وهل أنت أداة العقاب التى أرسلوها لإنزال هذا العقاب بى ؟

ـ إنه الهدف الذى جئت أسعى من أجله .

ـ من الواضح أنك شديد الثقة بنفسك .

ـ أنا واثق أن العدالة لابد وأن تأخذ مجراها فى النهاية .

ـ وأنا أثق أن القوة هى التى لابد وأن تنتصر فى النهاية .

وأنا رجل قوى للغاية يا مستر(ممدوح) .. أقوى مما تتصور .

وصفق بيده ليقوم أحدهم بتحريك طاولة معدنية أخرى بجوار الطاولة التى يرقد عليها (ممدوح) .

مشيرًا إلى الشخص المقيد إليها وهو يستطرد قائلًا :

ـ ما رأيك بهذا ؟.. إنه الشرير الذى أمسك بك هو وأعوانه منذ قليل .

نظر (ممدوح) إلى الشخص الممدد على الطاولة فوجده (كنعان) .

بينما استطرد (نديم) قائلًا :

ـ كما ترى ها هو الرجل الثانى فى عصابة (أكرم الحايك) وقد أصبح بلا حول ولا قوة .

إنه شخص بلا قيمة حقيقية .. لا يصلح لشىء سوى أن يكون مجرد مساعد لشرير آخر ظن أنه يمكنه بنفوذه وثرائه أن يهيمن على عبقريتى واستخدامى لمصلحته .

ودار حول الطاولتين مردفًا :

ـ لقد ظن سيده أنه قادر على شرائى بماله .. وكان أكثر حمقًا حينما تصور أنه بإمكانه التخلص منى فى النهاية والاستئثار بكل ما حققته .

وتحرك نحو دولاب جانبى ليفتح بابه .

ليرى (ممدوح) جثة (أكرم الحايك) وهى تهوى من داخله على الأرض .

بينما استطرد (نديم) قائلًا :

ـ وها هو قد دفع ثمن غروره الأحمق وعدم احترامه لذكائى .

نظر إليه (ممدوح) قائلًا :

ـ أنت مجنون بلا شك .

قال له ضاحكًا :

ـ كثير من العباقرة اتهموا بالجنون قبل أن يحترمهم العالم ويقدر مكانتهم فيما بعد .

صاح (كنعان) بخوف قائلًا :

ـ أرجو أن تعفو عنى يا دكتور (نديم) .. لقد أخطأت فى حقك لكنى مستعد أن أكون خادمك المطيع منذ الآن .

فقط حررنى من قيدى وامنحنى الفرصة لأثبت لك ذلك .

ضحك (نديم) وهو يمر بين الطاولتين قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ أترى ؟ خادمى المطيع .. هذا تأكيد لما قلته لك .. أمثاله لا يصلحون إلا أن يكونوا خدمًا للآخرين .

وأمثاله أيضًا مستعدون للانقلاب على أسيادهم إذا ما أتيحت لهم الفرصة أو اضطرتهم الحاجة لذلك .

وتوقف خلف رأس (كنعان) على الطاولة لينظر إليه قائلًا :

ـ ربما أمكننى الاستفادة منك بالفعل .. لكنى أكره أمثالك كرهًا شديدًا إلى حد أننى أفضل التخلص منهم عن الاستفادة بخدماتهم وضغط على زر فى جهاز التحكم الإلكترونى فى يده ليتحرك على الأثر أحد أصحاب النظارات السوداء نحو طاولة (كنعان) واقفًا فى مواجهته مباشرة .

ثم ما لبث أن نزع النظارة عن عينيه محدقًا به .

وما إن رأى (كنعان) ذلك حتى أخذ يصرخ طالبًا الرحمة لكن الشعاع الصاعق الذى انبعث من عينى الشخص كان قد اخترق رأسه ليلقى مصرعه فى الحال و(ممدوح) ينظر إليه مذهولًا .

***

الفصل التاسع

تصبب وجه (ممدوح) عرقًا فى حين تحرك (نديم) نحو طاولته قائلًا :

ـ لا تخشَ شيئًا فأنا أعد لك شيئًا أفضل مما لاقاه هذان الوغدان (أكرم) وتابعه .

لقد قررت أن أضمك لفريق العيون المشعة فلا حاجة لأن تكون مصابًا بالمرض مثلهم ليتم ترتيب ذلك .

ونظر إلى زميله صاحب المعطف الأبيض مردفًا :

ـ أليس كذلك يا دكتور (لوتشينو) ؟

التفت إليه الجراح الإيطالى حاملًا مشرطًا فى يده ليقول :

ـ أنا مستعد لكل طلباتك دكتور (نديم) .

ابتسم (نديم) وهو يقوم بتحريك ذراع هيدروليكى متصل بجهاز للأشعة قائلًا بسخرية :

ـ دكتور (لوتشينو) جراح ماهر يجيد التعامل مع كل العقول مهما كانت صلابتها .

وأشار إلى مجموعة من مساعديه الذين يضعون كمامات طبية على وجوههم مردفًا :

ـ هيا استعدوا .. أين طبيب التخدير ؟

رد عليه أحدهم قائلًا :

ـ أنا قادم يا سيدى .

لكن فجأة تعالت أصوات صاخبة على مقربة منهم أعقبها صوت طلقات رصاص .

فهتف (نديم) قائلًا :

ـ ما هذا ؟ ما الذى يجرى بالخارج ؟

قال أحدهم منزعجًا :

ـ هناك أشخاص مسلحون يوشكون على اقتحام المكان .

قال (نديم) وقد انزعج بدوره :

ـ كنت أظن أننا انتهينا من (أكرم) وعصابته .. وأين رجالنا ؟

حدق أحد معاونيه فى الشاشة التليفزيونية التى تكشف عما يدور خارج القاعة قائلًا :

ـ إنهم ليسوا من رجال (أكرم) وهم يرتدون زى القوات الخاصة .. ويبدو أنهم على دراية بنقطة الضعف فى رجالنا فهم يصوبون على رؤوسهم ويقضون عليهم .

قال (ممدوح) متهكمًا :

ـ لقد حانت كلمة النهاية .. إنهم رجالنا هذه المرة وقد أتوا لإنهاء مشروعك الجهنمى إلى الأبد .

نظر إليه بحنق قائلًا :

ـ هذا ما تظنه .. لقد أتى أصدقاؤك ليلقوا حتفهم فى هذا المكان .

وقام بالضغط على عدة أزرار فى جهاز أمامه تحرك على أثرها ثلاثة عشر شخصًا من أصحاب العيون المشعة لمواجهة القادمين .

بينما تخلى الجراح الإيطالى ومساعدوه عن مشارطهم ومعداتهم الطبية ليتسلحوا بأسلحتهم النارية منضمين إليهم تأهبًا للمواجهة .

أما (نديم) فقد جلس أمام الشاشة التلفزيونية ليتابع بمفرده المعركة الدائرة بالقرب من باب القاعة .

وسرعان ما انتهز (ممدوح) فرصة انشغاله بما يدور ليلتقط بأطراف أصابعه المشرط الجراحى الذى تركه الجراح على مقربة منه وهو يغادر المكان .

وأخذ يعمل حده بمهارة فى الرباط الملتف حول معصمه الأيمن حتى تمكن من تمزيقه بعد جهد شديد .

ثم فعل الشىء نفسه بالرباط الملتف حول معصمه الأيسر .

وقبل أن ينجح فى ذلك انتبه (نديم) لما يفعله فهب واقفًا وهو يقول :

ـ ليس بتلك السهولة أيها المقدم .

وأسرع بتناول مسدسه تأهبًا لإطلاق الرصاص عليه .

وقد نجح فى تحرير رسغيه دون قدميه فاستعان بيديه لدفع عجلات الطاولة المعدنية بسرعة فائقة لترتطم بـ بغريمه .

والذى سقط بدوره فوق أجهزته الإلكترونية وقد لامست أصابعه أثناء سقوطه عددًا من الأزرار .

انطلق على أثرها دوى أجهزة الإنذار فى أرجاء المكان .. يصحبها ومضات ضوئية حمراء متقطعة .

وقد صرخ مذعورًا وهو يقول :

ـ يا للكارثة .

وسرعان ما ظهرت فتحات واسعة فى السقف لتبرز منها ما يشبه فوهات البنادق أخذت تتحرك فى جميع الاتجاهات بطريقة تلقائية مطلقة ومضات أشعاعية متتابعة تحرق كل ما ترتطم به .

بينما اندفع (نديم) إلى الخزينة الحديدية متفاديًا القذائف المشعة ليأخذ منها الحقيبة التى تحتوى على أسرار اختراعه الشيطانى .

ثم تحرك نحو أحد أركان القاعة ليضغط على زر فى الجدار المجاور له.

لتظهر فجوة واسعة تحت قدميه انزلق من خلالها إلى أسفل الأرض الواقف عليها .

وواصل انزلاقه خلال أنبوب معدنى حلزونى أملس يمتد عشرات الأمتار تحت الأرض .

قبل أن يستقر فى النهاية واقفًا على أرض صلبة فى مواجهة جدار حجرى .

وما لبث أن ضغط على زر آخر فى جهاز التحكم معه فتحركت كتلة من الجدار المواجه كاشفة عن فراغ خلفها .

لينفذ من خلالها إلى الأرض المحيطة بالجهة الأخرى من القرية السياحية .

وكان (ممدوح) قد نجح فى التخلص تمامًا من قيده وقد رأى الوسيلة التى هرب بها (نديم) .

فى الوقت الذى حطم فيه أفراد العمليات الخاصة باب القاعة بعد أن تمكنوا من القضاء على المبرمجين والقبض على عدد من مساعديه .

لكنه صرخ فيهم بألا يتقدموا إلى داخل القاعة حتى لا تحرقهم القذائف الإشعاعية وهو يحذرهم قائلًا :

ـ بادروا بمغادرة المكان على الفور فهو سينفجر بين لحظة وأخرى .

وأسرع قائد المجموعة بسحب أفراد فريقه إلى الخارج .

بينما عمل (ممدوح) على تفادى القذائف المشعة والتى كاد بعضها أن يصيبه متبعًا نفس السبيل الذى اتخذه غريمه .

كان (نديم) قد لجأ إلى مرأبه الخاص ليستقل إحدى سيارته سعيًا لمغادرة المكان .

فى اللحظة التى لحق فيها (ممدوح) به محاولًا اعتراض طريقه .

لكنه كاد يصدمه بسيارته وهو ينطلق بها خارج المرأب فصوب الأخير مسدسه بإحكام ليصيب إطارين فى السيارة قبل ابتعادها .

لتنحرف بقائدها يسارًا وتصطدم بعنف بإحدى الأشجار على جانب الطريق .

وقد غادرها (نديم) مصابًا وهو يترنح من أثر الصدمة قبل أن يهوى أرضًا مغشيًا عليه والدماء تنزف من وجهه .

وسارع (ممدوح) بأخذ الحقيبة التى تحتوى على أسراره الجهنمية من داخل السيارة . لكن ما إن غادر السيارة حتى رأى على بعد أمتار قليلة منه الدكتور (منير) وزوجته وقد أشهر سلاحه فى وجهه قائلًا :

ـ مهمتك تنتهى عند هذا الحد يا صديقى .. من فضلك ألقِ بسلاحك وأعطنا هذه الحقيبة دون أن تحاول إثارة المتاعب .

ابتسم (ممدوح) وهو يلقى بسلاحه قائلًا :

ـ كان شكى فى محله .. فقد توقعت الغدر منك ومن زوجتك وكنت أشعر أنكما تدبران أمرًا ما .

خاصة حينما ألححت علىَّ فى الاستيلاء على هذه الحقيبة .

ـ وأنا كنت واثقًا من ذكائك أيها الضابط الهمام .. لذا أردت الاستفادة من قدراتك والاستعانة بك للفوز بكل تفاصيل وأسرار هذا المشروع الذى ابتكره (نديم) لتكون لى ولزوجتى وحدنا فى النهاية .

أنت تعرف بالطبع أن هناك حكومات ومنظمات لديهم الاستعداد لدفع مئات الملايين من الدولارات مقابل الحصول على أسرار هذا العمل الجهنمى .

قال (ممدوح) وهو يحاول أن يطيل أمد الحديث بينهما :

ـ لكن كيف أمكنك معرفة هذا المكان والتنبؤ بمجىء (نديم) إلى هنا ؟

www.riwaya.ga

ابتسم بخبث قائلًا :

ـ هل نسيت أننى عملت فى هذا المكان لفترة لا بأس بها وأعرف دهاليزه والممر الآمن للهرب فى حالة الطوارئ الذى يعتمد عليه (نديم) وأعوانه ؟

والآن كن لطيفًا وأعطِ زوجتى تلك الحقيبة التى فى يدك بهدوء .

تحركت زوجته نحو (ممدوح) لتقف على مسافة خطوات قليلة منه قائلة :

ـ ضع الحقيبة على الأرض من فضلك .

تظاهر (ممدوح) بوضع الحقيبة أرضًا .

لكنه قذف بها فجأة لترتطم بوجهها فى قوة آلمتها . وفى نفس اللحظة كان قد انبطح أرضًا بسرعة البرق مستعيدًا المسدس الذى ألقاه .

مصوبًا رصاصة إلى كتف (منير) الذى صرخ متألمًا .

ثم وثب نحوه منقضًا عليه ليطرحه أرضًا مفلتًا مسدسه من يده ومشتبكًا معه فى قتال عنيف .

سارعت زوجته بإطلاق رصاصة من سلاحها نحو (ممدوح) لكنها أصابت زوجها بدلًا منه ليخر صريعًا .

حدقت المرأة فى زوجها بذهول .

بينما أطاح (ممدوح) بالمسدس من يدها بركلة قوية من قدمه قبل أن ينتزع منها الحقيبة .

وفى تلك اللحظة برز عدد من جنود القوات الخاصة ليحيطوا بهما وقد انتشروا فى أرجاء المكان .

وفجأة سمع الجميع صوت دوى انفجار هائل ارتجت له المنطقة حولهم .

ورأى (ممدوح) النيران وهى تتصاعد على مسافة غير بعيدة فى مركز التجارب السرية والأرض المحيطة به .

www.riwaya.ga

قام رجال القوات الخاصة بالقبض على (نديم) وزوجة الدكتور (منير) ونقلهما إلى الطائرة المروحية التى هبطت على مقربة منهما .

بينما تطلع (ممدوح) إلى ألسنة اللهب وشظايا الانفجار المروع وهى تندفق من خلال فتحة الجدار الذى نفذ من خلاله وهو يغمغم قائلًا :

- هذه نهاية جيدة فمن الأفضل ألا يقع هذا الاختراع الشيطانى فى يد أحد بعد الآن .. وإلى الأبد .

ثم ألقى بالحقيبة بما تحويه وسط النيران المتدفقة لتحترق بكل محتوياتها .

***

استرخى (ممدوح) فى مقعده على الطائرة المتجهة إلى القاهرة ، مسندًا رأسه إلى ظهر المقعد وقد راح فى سبات عميق .

لكنه ما لبث أن تنبه من نومه بعد عشر دقائق فقط حينما فوجئ بيد قوية تمسك بذراعه وتهزه بعنف ففتح عينيه منزعجًا وهو ينظر بجواره ليجد شخصًا يحدق فيه من خلف عدسات نظارته السوداء قائلًا :

ـ استيقظ يا عزيزى فقد وصلنا .

نظر إليه بعينين مازالتا مثقلتين بالنعاس قائلًا :

ـ هل عدنا إلى القاهرة بهذه السرعة ؟

نزع رفيقه النظارة السوداء عن عينيه مبتسمًا وهو يقول :

ـ بل وصلنا إلى الجحيم .

حدق فى عينى الرجل الصفراوين منزعجًا وهو يقول :

ـ من أنت ؟

ابتسم رفيقه ابتسامة مخيفة وهو يطلق شعاعًا صاعقًا على رأسه قائلا :

ـ أنا رسول الجحيم الذى سيصحبك إليه فى الحال .

فتح (ممدوح) عينيه مضطربًا لينظر بجواره مجددًا فرأى سيدة عجوز تغزل قطعة من الصوف بإبرتين طويلتين فى يدها وهى تنظر إليه بابتسامة حانية قائلة :

www.riwaya.ga

ـ يبدو أنك كنت تحلم حلمًا مزعجًا .

قال وقد استعاد هدوءه قليلًا :

ـ بل كان كابوسًا مفزعًا .

ـ هل أنادى المضيفة لتحضر لك بعض العصير ؟

ـ لا داعى لذلك .. أشكرك .. سأعاود النوم ثانية فأنا مرهق بعض الشىء .

ربتت على كتفه قائلة له بنبرة هادئة :

ـ نم يا بنى .. أتمنى لك أحلامًا سعيدة هذه المرة .

وعاد ليغمض عينيه من جديد فى حين واصلت السيدة المسنة غزل قطعة الصوف .

***

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

لتحميل المزيد من
الروايات الحصرية
زوروا موقع
مكتبة رواية
www.riwaya.ga

روايات مصرية

86

المكتب رقم 19

شريف شوقي

www.riwaya.ga

عيون الرعب

وأسرع بتناول مسدسه ليطلق الرصاص على ممدوح الذى نجح فى تحرير رسغيه من وثاقهما مستعينًا بيديه فى دفع عجلات الطاولة المعدنية بسرعة فائقة لترتطم بغريمه الذى سقط بدوره فوق أجهزته الإلكترونية لينطلق على الأثر دوى أجهزة الإنذار فى المكان.

6/12/017

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن

19350

العربية الحديثة

20003086